الفصل الرابع

مختارات من آثار نجيب الحداد

١ — نجيب الحداد الوطني

الشرق

حب الوطن هو الصفحة الأولى بل الكلمة الأولى من سفر الحياة ولقد كان نجيب الحداد وطنياً صادق الوطنية تختلج جوانحه بحب الوطن والنهوض به إلى أعلى مراتب العز والسؤدد ولم تكن عاطفته الوطنية مقصورة على لبنان ومصر وطنيه الأول والثاني بل كانت مبسوطة الجناح إلى الشرق العربي أجمع . قال يصف الشرق ويوجه الخطاب إلى أبناء الشرق :

يا بني الشرقِ أين ذاكَ الضياء أين تلكَ النفوسُ والآلاء
أينَ ذاكَ المقامُ تحسدهُ الشمـــسُ بهاء وأين ذاكَ العلاء
أين مَنْ طاولوا النجومَ فودَّتْ شَرَفاً أنهـا لهمْ حصباء[1]
أين أرضٌ قد خصَّها اللهُ بالوحـــى وجاءتْ من قومها الأنبياء
أيُّ شيءٍ جرى على الكونِ حتى انـــقلبتْ عن نظامِها الأشياء
فرأينا غربَ البـلادِ منيراً وغدَوْنا وشرقُنا الظلماء
لستُ أعنى بالنورِ شمسَ سماء بل شموساً ما أطلعتها سماء
أبرزتْها أيدى الرجالِ بآفا قِ ذَكاء تغارُ منه ذُكاء[2]

---

(١) الحصباء : الحصى . الواحدة حصبة .
(٢) الذكاء : حدة الفؤاد . وذكاء : اسم علم للشمس .

هى شمسُ العلى تمثّلها الشمـــسُ كما مثّلَ النجومَ الماء
كتبتْ أحرف المساواةِ فيها فتلتْها حرّيةٌ وإخاء[1]
كِلْمةٌ كلها محبّـةُ أوطا نٍ ورأسُ الإيمانِ ذاك الولاء
عظّمتْهُ ممالكُ الغربِ حتى بلغتْ منه فى العُلَى ما تشاء

ومنها :

كم ننادى يا قومَنا ثم لا نسـمعُ غيرَ الصّدَى وكم ذا النداء
أوَلسنا القومَ الأولى ملكوا المدْ نَ ودانتْ لديهمُ الغَبْراء
والأولى سطّرُوا المعارفَ واستجـلَوْا خفايا الورَى فزالَ الخفاء
ليس نَيْلُ العُلَى بصعبٍ إذا ثا رتْ إليه حميَّةٌ قعساء
نحنُ أبناؤها ومَنْ نَصَرَ الآ باء تنصرْ بفضله الأبناء
كلنا واحدٌ لنا وطنٌ فرْ دٌ وإن عدّدتْ بنا الأسماء
إنما نحنُ هيكلٌ واختلافُ الـ إسمِ وهْمٌ فكلُّنا أعضاء
وسبيلُ العُلى قريبٌ هو الأُلْـفَةُ فيها المُنى وفيها الرّجاء
وعلى الله نجْحُنا فى ختامٍ إن ثبتْنا وصحّ منا ابتداء[2]

دمشق

العربى الحر كل بلاد العرب بلاده فلا عجب ممن ولد بلبنان ونشأ بمصر أن يتغنى بجمال دمشق ولو على السماع . قال يصف دمشق وقد ذكرها له أحد الفضلاء الراجعين منها فأجاد وأطرب فاذا كان يقول لو أنه رآها بأم العين :

---

(١) الحرية والإخاء والمساواة هى الفضائل الثلاث التى تمخضت عنها الثورة الفرنسية وكان الشرقيون إذ ذاك متأخرين بهذه الفضائل يستوحونها فى جهادهم السياسى والأدبى .
(٢) ديوان « تذكار الصبا » للمترجم له ص ٥ – ٧ (الطبعة الثانية) .

سَقَى اللهُ من وادى دمشقَ مراتعا ... جنَيْنا بها زهرَ المسرَّةِ يانِعا[1]
وحَيَّا ليالى الأُنس فى حَيِّها فكمْ ... جلَوْنا بها بدرًا من الحسنِ طالِعا
بدور حِسان ما لهنَّ مغارِبٌ ... فلست تَرَى فيهنَّ إلا مطالِعا
سوافرُ ما تُلقَى لهنَّ براقعٌ ... جعلْنَ من الحسنِ البديعِ براقِعا
بكلّ مَهاةٍ يُخجلُ الرّمحَ قدُّها ... ويقطعُ لحظاها السيوفَ القواطِعا
تحدّثُ عيناها حديثَ جمالِها ... فيغدو لها قلبُ المتيَّمِ سامِعا
وتخطرُ بين العاشقينَ فيغتدى ... لها كلُّ قلبٍ فى الصبابةِ راكِعا
إذا جُليت للشيخِ آياتُ حسنِها ... توهَّمها عصرَ الشبيبةِ راجِعا
غصونٌ مع الأغصانِ فى الروضِ تنثنى ... نجومٌ يبارينَ النجومَ الطوالِعا
كأنَّ جِنانَ الخلدِ قد أُنزلتْ لنا ... نشاهدُ فيها حُورَها والبدائِعا
سَقَاها الحَيا من جنّةٍ كلُّ مَنْ بها ... كآدمَ لم يخرجْ من الخلدِ طائِعا[2]
وحَيَّا أويقاتًا يعودُ كبيرُها ... صغيراً فيغدو من فمِ الكأسِ راضِعا
وحيّا كراماً قبل راحٍ تواضعُوا ... فما زادَهمْ كأسُ المدامِ تواضُعا[3]

---

(١) توسع الشاعر فى استعمال كلمة يانع صفة للزهر وإنما يقال ثمر يانع وينيع أى ناضج، وقد ينع الثمر وأينع إذا أدرك وحان قطافه واليانع أيضاً الأحمر من كل شىء وثمر يانع إذا لون ولعل الشاعر انساق إلى هذا الاستعمال أخذاً عن بعض المتقدمين كالحريرى والشريشى والقاضى شهاب الدين بن فضل الله والصفدى فقد وصفوا الزهر والغصن بأنه يانع ولقد أشار الشيخ إبرهيم اليازجى إلى ذلك فى «لغة الجرائد».

(٢) الحيا والحياء : المطر.

(٣) يقول إنهم متواضعون قبل الشراب فما زادتهم الخمر تواضعاً ولا كان لها أثر فى أن تكسبهم تلك الصفة الحميدة. ولعنترة أبيات جميلة فى الكرم والكرامة إبان الشراب وبعده يقول فيها :

ولقد شربت من المدامة بعدما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلم
فإذا سكرت فإننى مستهلك ... مالى وعرضى وافر لم يكلم
وإذا صحوت فلا أقصر عن ندى ... وكما علمت شمائلى وتكرمى

وحَيَّا النَّدَى تلكَ الأزاهرَ بالضحَى ... وألبَسها تاجاً من الدرِّ لامِعا
وبارِكَ فى تلك المياهِ وطيبِها ... فما أحسنَ المَجْرَى وأحلَى المنابِعا
ولا زالتِ الأرواحُ ترسُمُ فوقَها ... سطوراً فتقراها الطيورُ سواجِعا
ولا زالَ فى ضعفٍ عليلُ نسيمِها ... فكم جَرَّ ذيّاكَ العليلُ منافِعا
وحَيَّا الصَّبا تلكَ الغصونَ فكم غدتْ ... تحيِّى الوفودَ المنتشينَ رواكِعا
ولا زالَ مخضرُّ الأراكةِ خالعاً ... على (بَرَدَى) بُرْداً من الظلِّ واسِعا[1]
تحيِّى نداماهُ الشموسَ غواربا ... بهِ ويحيُّونَ البدورَ طوالِعا
كرامٌ صفَوْا نفساً وراقُوا مناظراً ... وقد حسنُوا خلقاً وطابوا مسامِعا
صفا كلُّ شىء عندهمْ فتكادُ عن ... صفاهمْ ترى سرَّ الضمائرِ ذائِعا
ترى الأنْسَ فيهمْ حاضراً كلَّ ساعةٍ ... كأنْ لمْ يَرَوْا للأُنسِ فعلاً مضارِعا[2]
صغيرهُمُ فى الخطبِ شيخٌ وشيخُهمْ ... تراه لدى الغاراتِ أمردَ يافِعا[3]
سقى الله ربْعَ الشامِ قَطراً بقدرِ ما ... سقيناهُ فى يومِ الوداعِ مدامعا

---

(١) الأراك : شجر واحدته الأراكة . وبردى : اسم نهر بدمشق .

(٢) يريد بالفعل المضارع المستقبل لتتم المقابلة بين الحاضر والاستقبال وفى مثل هذا يقول المتنبى فى قصيدة له يمدح بها سيف الدولة :

إذا كان ما تنويه فعلا مضارعاً ... مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

والمعروف أن المضارع إذا ألقيت عليه الجوازم قلبت معناه إلى الماضى . وهذا مأخوذ من قول أبى تمام يصف الخمر فى قصيدته التى يمدح فيها يحيى بن ثابت :

خرقاء يلعب بالعقول حبابها ... كتلاعب الأفعال بالأسماء

(٣) اليافع : الغلام ترعرع وناهز البلوغ . والأمرد : الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته . مؤنثه مرداء وجمعه مرد . ويقال مرد على جرد أى شبان مرد على خيول جرد . والأجرد من الخيل : السباق . وتمثيل الشيوخ بالمرد فى الغارات يقول فيه المتنبى من قصيدة مدح بها محمد بن سيار بن مكرم التميمى :

سأطلب حقى بالقنا ومشايخ ... كأنهم من طول ما التثموا مرد

ديارٌ أخذنا الشوقَ منها وديعةً لدينا وخلّينا القلوبَ ودائعا
تقرّبُها أشواقُنا فنكادُ من توهّم لقياها نمدُّ الأصابعا
ونذكر أيامًا بها ثم ننثنى نضمُّ بأيدينا الحشَى والأضالعا(١)
نقول عسى من فرّقَ الشملَ بيننا يكونُ بلطفٍ منه للشّمْلِ جامِعا(٢)

مصر والمصريون

إذا كانت عاطفة العربى نابضة خافقة بحب بلاد العرب جمعاء فأجدر بها أن تكون أشد نبضاً وخفقاناً بحب البلد الذى نشأ فيه الشاعر واغتذى من خيره وجالت فى ميادينه سوابح جده وجهاده . قال فى مصر والمصريين :

يا أرضَ مصرَ تحيّـةٌ وسلامُ وسقاكِ من صَوْبِ الغمامِ رُكامُ(٣)
بلْ أنتِ غانيةٌ عن المطرِ الذى يهمى فإنَّ النيلَ فيكِ غمامُ
نهرٌ تباركَ ماؤُه فتكادُ أن تُمْحَى بطهرِ مياهِهِ الآثامُ
ويكادُ لو رَشَفَ العليلُ زلالَهُ يشفَى العليـلُ وتذهبُ الأسقامُ
يُحيِي البلادَ بمائِهِ فكأنهُ الـــرُّوحُ التى تحيا بها الأجسامُ

---

(١) لعل الشاعر استقى معنى هذا البيت من بيت « الصمة بن عبد الله » الشاعر البدوى الأموى الذى يقول :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا

وهو بيت من قصيدة له تسيل رقة وجوى نظمها فى بنت عمه متشوقاً إليها بعد أن باعدت بينه وبينها الأيام واشتط عمه فى مهر ابنته ومطلع القصيدة :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعباكما معا

(٢) ديوان «تذكار الصبا» ص ٥٢ — ٥٤

(٣) صوب الغمام: منسكب الغمام . الركام : المتراكم بعضه فوق بعض من السحاب .

إن شابَهُ كَدَرٌ فى أكدارِهِ صفوٌ وفى فيضانِهِ إنعامُ[١]
يجرى على أرضٍ مباركةٍ كما تجرى فتُحْيى الشاربينَ مُدامُ
أرضٌ إذا لم يعْلُ فى أرجائها عَلَمٌ فإنَّ كِرامَها أعلامُ
لبستْ من المجدِ التّليدِ مطارِفاً ولها من المجدِ الطريفِ وسامُ
وتعانقتْ والفخر من قِدَمٍ كما قد عانقتْ ألفَ الكتابةِ لامُ[٢]
مجدٌ به هَرِمَ الزمانُ ولم يزلْ غَضًّا وقد شهدتْ به الأهرامُ
هرمانِ زانا صدرَ مصرَ فأشْبها نهدينِ زانهما سنًا وتمامُ
نهدانِ كان الدهرُ يرضعُ منهما إنّ الزمانَ لمجدِ مصرَ غلامُ
أرضُ الفراعنةِ الذين بَنَوْا لها فى الدّهرِ ما لا تبلغُ الأوهامُ[٣]
بنيانُ عزٍّ فى السطورِ مخلَّد وبناءُ مجدٍ فى الصخورِ يقامُ
لا بدْعَ إنْ بقيتْ مآثرُهمْ فقد بقيتْ جسومهمُ وهنّ رِمامُ[٤]

---

(١) إشارة إلى « الطمى » الذى يصاحب ماء النيل أيام الفيضان فيكون عاملا على خصب الأرض .

(٢) هنا يستوحى الشاعر أيضاً اللام والألف المتعانقتين ليصف التلازم والتعانق بين أرض مصر والفخر وكثيراً ما استوحى الشعراء القدامى معانيهم من معانى الحروف أو معانى أدوات الصرف والنحو وما إلى ذلك. وفى مثل هذا يعتمد أبو العلاء على الألف واللام أداة التعريف ليصف الشهرة وذيوع الصيت فيقول فى القصيدة التى يرثى بها والدته :

مضى وتعرف الأعلام فيه غنى الوسم عن ألف ولام

(٣) الوهم يطير بفكر الإنسان إلى أبعد مطارح الغايات ويصور له الشىء أو الشخص الذى يفكر فيه على أرفع درجات الصفة المتخيلة . فأجمل ما يقال فى وصف الأمر الراهن أنه يفوق الوهم . قال ذلك أبو نواس فى مدح الأمين :

وإذا المطى بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطىء الحصى فلها علينا حرمة وذمام
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام

(٤) الرمام : ما بلى من العظام مفرده : رمة .

جثثٌ كأنَّ الدهرَ هابَ مساسَها ... أو كان معْها للزمانِ ذمامُ[١]

يا حبّذا أرجاءُ مصرَ وحبّذا ... للزهْوِ فيها مرتعٌ ومَسامُ[٢]

الشرقُ هامٌ وهْيَ معقدُ تاجِهِ ... والشرقُ جسمٌ وهْيَ منهُ الهامُ[٣]

والشرقُ وجهٌ يزدهى بجمالِهِ ... بِشْراً ومصرٌ ثغرُهُ البسّامُ

هى جنّةُ الدنيا التى يُجْلَى بها ... وجهُ الزّمانِ وتبْسمُ الأيامُ

وحديقةُ العلمِ التى يزكو بها ... ثمرُ العقولِ وتنبتُ الأقلامُ

إن غابَ بدرُ كمالِها فيما مضى ... فاليومَ عادَ البدرُ وهْو تمامُ

ومنها :

إن كان قد لَؤُمَ الزّمانُ بما جَنَى ... فى أرضِ مصرَ فأهلُ مصرَ كرامُ

يلقَوْنَ حَدَّ الحادثاتِ بأنفُسٍ ... يرتدُّ عنها الدّهرُ وهْوَ كهامُ[٤]

مِنْ كلِّ مَنْ يحيى الرّجاء فؤادَهُ ... صبراً ويعصمُ صبرَهُ الإسلامُ

متواضعونَ على الجلالِ وإنما ... عندَ التواضعِ يعرفُ الإعظامُ

كُرَماء قد أَلِفُوا النَّدَى خلقاً فما ... لهمُ على غيرِ النَّدَى لوّامُ

يتحمّلونَ الضَّيْمَ عن نزلائِهِمْ ... وجوارهمْ والجار ليس يُضامُ

شِيَمٌ من العَرَبِ الأكارمِ إنها ... ما أورثَ الأخوالُ والأعمامُ

---

(١) من أجل ما قيل فى إمساك الزمان عن الأذى بيت فريد لخليل مطران من قصيدة أوحى بها إليه منديل الحبيبة فقد عثر يوماً فى صوان ملابسه على ذلك المنديل وقد أبلاه الزمن ولم يبق إلا على الجانب الذى فيه اسم الحبيبة مطرزاً فقال يخاطب المنديل ويصف عمل الدهر :

أصابك ذاب قارض من فم البلى ... إلى موضع فيه اسمها فتجنبا

(٢) المسام : المرعى

(٣) الهام : جمع هامة وهى رأس كل شىء . وعيب هذا البيت أن القافية اضطرت الشاعر إلى استعمال الهام بدل الهامة .

(٤) الكهام : الكليل الضعيف .

إرْثٌ قد احتفظوا بهِ ولطالما قد ضيّعتْ ميراثَهـا الأقوامُ
ولوَ أنَّهُ إرْث النّضـارِ لفرّقتْ بَدَراتِهِ الفقراءُ والأيتامُ[1]
فخراً بنى مصرٍ فإنَّ فخارَكمْ باقٍ على الأيامِ ليس يرامُ
تهديكمُ الدنيـا المدائحَ والثّنا فهى الفواتحُ والسّلامُ ختامُ[2]

تذكار مصر

وقليل على الشاعر أن يطيل القول فى البلد الذى آواه ونشأه وأن يخصه بنفثاته فى كل معرض من معارض الكلام فها هو ذا الشاعر يذكر مصر واصفاً متغزلا :

زُرْ أرضَ مصر وقفْ على ربواتِها واحفظْ فؤادكَ من ظُبَى ظَبياتِها[3]
وتوقَّ أنفـاسَ النّسيم فإنّهـا ممزوجةٌ بالحُبِّ من غاداتِها
أرضٌ كساها النيلُ زخرفَ وجهِهِ وأعارَ بَرْدَ مياهِهِ نسماتِها
فبدتْ كأنَّ الأرضَ وجهٌ مليحةٍ وكأنها خالٌ على وَجَناتِهـا[4]
للهِ روضتُها وقد حَيَّا الصَّبَـا أغصانَها فحَنَتْ له هاماتِهـا
وتحدّثَتْ أمواهُها فوقَ الحَصَى توحى لطيرِ أراكهِ نغماتِها
والأرضُ من ظلِّ الغصون كأنما نثرتْ دنانيرٌ على جَنَباتِهـا

---

(١) البدرة : القدر العظيم من المال .
(٢) ديوان « تذكار الصبا » ص ١٦ — ١٨ .
(٣) الظبى جمع ظبة : حد السيف أو السنان ونحوهما . والظبيات جمع ظبية : أنثى الغزال
(٤) الخال : شامة فى البدن ويغلب على شامة الخد . ومثل هذا التشبيه ورد للمتنبى فى مديحه لسيف الدولة يوم نهض إلى ثغر الحدث وانتصر على الروم فقال فيه :

غصب الدهر والملوك عليها فبناها فى وجنة الأرض خالا

ولكلمة الخال معان كثيرة فى اللغة فمن معانيها : البرق والكبر واللواء والرجل السمح والرجل المتكبر والظن والوهم وكثير غير ذلك جمعها أو جمع أغلبها بطرس كرامة فى قصيدته الخالية ومطلعها :

أمن خدها الوردى أفتنك الخال فسحٌ من الأجفان مدمعك الخال

ولقد جلستُ إلى الغزالةِ ساعةً غفلتْ بها عنّا عيونُ وُشاتِها
واللحظُ ينطقُ والشفاهُ صوامتٌ لغة تخطّ عيوننا كلماتِها[1]
حتى إذا طفحَ الغرامُ ولم تعدْ كِلمُ العيونِ تفى بوجداناتِها
عاتبتُها فتحدّرَت من جفنِها درٌ وددتُ أكونُ من قطراتِها
ورنتْ إلىّ فقابلتُها أدمعى فكأنّها نظرتْ إلى مرآتِها
إنّ القلوبَ غصونُ أرباب الهوى ومدامع الأجفانِ من ثمراتِها
فإذا جرى فيها نسيمُ صبابةٍ نثرتْ ثمار الوجدِ من عبراتِها
دمعٌ تراهُ مقلتى فى خدِّها ماء ونفسى منهُ فى جمراتِها
ضدّانِ قد جمعا به وكذا الهوى فيه السعادةُ مازجتْ آفاتِها
لتكن كما تهوى الصبابةُ إنّنى لا ألتقى فيه سوى لذّاتِها
تعذيبُها عذبٌ يروقُ ورودُهُ عندى فكيف العَذْبُ من حالاتِها
سَكرَ الفؤادُ بها بأقداحٍ من الـ أحداقِ دارَ السُّكرُ فى داراتِها
يسعى بها قمرٌ لو أنّ نجومنا منهُ لكان البدر من هالاتِها
فصفحتُ فى سكرى بخمرةِ حبّهِ عما أساء إلىّ من هنواتِها
هيهاتَ ما الدنيا ليذكر ذنبها وسعادتى بلقاك من حسناتِها

---

(١) نظم شوقى فى هذا المعنى بيته المشهور الذى يقول فيه :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت عينى فى لغة الهوى عيناك

ولعل مصدر هذا وذاك بيت لفتى من أهل الكوفة ينسب إلى الصبوة كان مطيع بن إياس ويحيى ابن زياد قد جلسا إليه وفاوضاه وأخذا فى أشعار العرب ووصفها البيد فقال :

لأحسن من بيد يحار بها القطا ومن جبل طى ووصفكما سلما
تلاحظ عينى عاشقين كلاهما له مقلة فى وجه صاحبه ترعى

لقْيا أخالُ الأرضَ دارةَ درهمٍ فيها وكلّ العمرِ من ساعاتِها
حتى لأحسبُ أنّ نفسى فى رُبَى جنّاتِها والخلد بعض حياتِها
وأظنّ صرف الموتِ ألينَ جانباً من أن يكدّرَ بيننا خلواتِها
وأقولُ دعنا يا مماتُ وعجْ إلى نفسٍ ترى راحاتِها بمماتِها[1]
كم من نفوسٍ تشتهيكَ حزينةً تدعو وتبسطُ فى الدُّعا راحاتِها
فإلى دعاتِكَ فاستجبْ كرماً ودَعْ أهلَ الصبابةِ عنكَ فى جنّاتِها[2]

لبنان

إن الوفاء خلة القلوب النقية النبيلة فقد وفى الشاعر لمصر وطنه الثانى فذاد عنها وخدمها بقلبه وقلمه ولسانه وجرى حبها فى جوانحه فرعاه ونعم به . على أن وفاءه لمصر لم ينسه لبنان وطنه الأول حيث مسقط رأسه ومدارج طفولته وحداثته فقال يصف لبنان ويحن إليه :

قفْ فى رُبَى لبنانَ بينَ وهادِهِ واقْرا السَّلامَ لأهلِهِ وبلادِهِ
جبلٌ بأرض الشّرْقِ قامَ وفوقَهُ قد قامتِ الأطوادُ من أفرادِهِ
أنقى نفوساً من بياضِ ثلوجِهِ وأسحّ جوداً من مسيلِ عِهادِهِ[3]

(١) استقى الحداد معانى هذه الأبيات الثلاثة الأخيرة من قصيدة « البحيرة » للشاعر الفرنسى « لامرتين » حيث يقول :

O temps, suspends ton vol! et vous, heures propices,
Suspendez votre cours !
Laissez-nous savourer les rapides délices
Des plus beaux de nos jours !
Assez de malheureux ici-bas vous implorent:
Coulez, coulez pour eux;
Prenez avec leurs jours les soins qui les dévorent;
Oubliez les heureux.

(٢) ديوان « تذكار الصبا » ص ٣٦ — ٣٧ .
(٣) العهاد : أول مطر الربيع .

obeikandl.com

وأشدّ من آسادِهِ وأشمّ من ... أطوادِهِ وأعزّ من أندادِهِ
قومٌ لهمْ عمّنْ سواهمْ رفعةٌ ... مثل ارتفاعِ الطودِ عن أنجادِهِ[1]
جمعُوا اليراعةَ والقَنا فمخضّبٌ ... بدمائِهِ هـذا وذا بمدادِهِ
حازُوا الفخارَ قديمَـهُ وحديثَهُ ... والمجدَ بين طريفِهِ وتِلادِهِ
وتفرّدُوا بالحسنِ فى غزلانِهِ ... يزهو وبالإحسانِ فى آسادِهِ
شوقى إلى تلك الديار وأهلِها ... شوقُ المريدِ إلى بلوغِ مرادِهِ
طُبِـعَ الزّمانُ على العنادِ وقد رأى ... من عجزِنا ما زادَ طبعَ عنادِهِ
فيدومُ لا ينفكُّ قائدَ طوعِنا ... وندومُ لا ننفكُّ طوعَ قيادِهِ
نُدْعَى بذنبِهِ على الخطاء ولم نجدْ ... من والدٍ يقسو على أولادِهِ
يقضى الذى يرضَى وكلّ فتًى بهِ ... يرضى بما يقضيهِ رغم مقادِهِ
من ليس يمتلكُ العتادَ لدفْع ما ... يؤذيهِ فالتسليمُ خيرُ عتادِهِ
عوّدتُ نفسى الصبرَ حتى هانَ لى ... والمرءُ قد يحلو لدى معتادِهِ
وإذا فؤادُ فتًى تصبّرَ مكرهًا ... فالفضلُ للإكراهِ لا لفؤادِهِ[2]

---

(١) الأنجاد : جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٢) ديوان « تذكار الصبا » ص ٤٨ .

حنين

وهذا الحنين إلى لبنان يوحى إليه قبيل مماته ببيت من الشعر يفيض ألماً ولوعة وتحناناً يؤرخ به وفاته وهذا هو(١) :

مات النجيب فأرّخوا قبراً لهُ قد ماتَ مشتاقاً إلى لبنانِ(١)

٢ — نجيب الحداد السياسى

الإنجليز لا تقف عقبة فى سبيلهم وهم عقبة فى كل سبيل

عاش نجيب الحداد فى مصر واتخذها وطناً ثانياً له فشعر بشعورها وأحس بإحساسها وأجال قلمه فى ميادين السياسة فكان الوطنى الغيور والمبصر الحكيم والمرشد إلى سواء السبيل وهذا مقال من مقالاته السياسية يندد فيه بالاحتلال قال :

لا نقصدُ بهذا العنوان سوى تقرير حقائقَ راهنة وسَرْدِ تواريخَ ثابتة نبيّن من ورائها أعمالَ هذه الدّولة وأحوالها وما تنوى من المقاصد والغايات

---

(١) « منتخبات أمين الحداد » ص ٢٣٤ (الطبعة الأولى) .

(٢) إن الشآميين الذين هاجروا إلى مصر لم يعيشوا غرباء فقد لقوا فيها أهلا بأهل وإخواناً بإخوان وإنما قست الغربة على أولئك الشآميين الذين نزحوا إلى بلاد الغرب وتوفاهم الله فيها بعيدين من أوطانهم وهذا أحدهم الشاعر الناثر رزق الله حسون الحلبى يموت بلندن فيتمثل عند موته بقول القائل :

قدر الله أن أموت غريباً فى بلاد أساق كرهاً إليها
وبقلبى مخبآت معانٍ نزلت آية الحجاب عليها

وقد نسب بعض الرواة هذين البيتين إليه « أدباء حلب ذوو الأثر فى القرن التاسع عشر» لقسطاكى الحمصى ص ١١.

وما مرَّ لها من السوابق والأعمال ليكون الماضى تبصرةً للمستقبل والسابق غنى للحاضر عن مزيد التأمّل والاستبصار متّبعين فى كل ذلك جادّة[١] الصدق والصواب لا نميلُ مع غاية ولا نرمى إلى غرضٍ ولا نتعمّد مدحاً ولا نقصد إلى مذمّة ولا بغيةَ لنا إلا فائدة الذكرى ومنفعة العِبرة والتبصرة لمن كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد[٢] .

قلنا إن الإنجليز لا تقفُ فى سبيلهم عَقَبَة ونحن نبيّنُ ذلك بالحجّة الثابتة والحوادث المقرّرة الماضية فنقول إن رجال الإنجليز احتلّوا الهند من سنين فلم تقف فى سبيلهم عَقَبَة لأنهم لا يزالون فيها ثم احتلّوا جوانب إفريقيا فلم يعترضهم أحدٌ لأنّ دولة استعمارهم لا تزال تمتدُّ فى أطرافها ثم نزلوا بعضَ جهاتِ آسيا وأمريكا ووسّعوا نطاقَ استعمارهم وأخذوا مَنْ هناك مِن الشعوب فى غِمارِ[٣] دولتهم وسطوةِ مُلْكهم ولم يَحُلْ دون تقدّمهم مانعٌ ولا مَنَعَ من نفوذِهم حائل ثم احتلّوا جبل طارق ولا يزال فى قبضةِ أيديهم إلى الآن ثم أخذوا قبرصَ ومالطة وهم لم يبرحوا فيهما ولن يبرحوا حتى يأتىَ الله بأمرٍ من عنده . وأخيراً نزلوا مصرَ فاتحين أو مصلحين كما يقولون والعِبرةُ بالاحتلال لا بالأقوال ولم تقف فى سبيلهم عَقَبَة سوى ما يسمعونه من اعتراضِ الدول وتردُّدُهُ الجرائد من معارضاتِ

---

(١) الجادة : معظم الطريق ووسطه جمعه جواد .

(٢) تضمين للآية الكريمة : « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » سورة ق ٣٧

(٣) غمار جمع غمرة : شدة الشىء ومزدحمه .

فرنسا حيناً واحتجاجِ الباب العالى[١] أحياناً وأقوالِ بعض الخطباء آونةً[٢] مما درجت[٣] عليه السّنون[٤] ومرّتْ دونَهُ الأحقابُ[٥] وهو لا يزالُ فى حيثُ كان بل لا يزالُ كما كان وبقى الإنجليزُ يحتلّون البلادَ ويمدُّونَ كل يومٍ فى إدارتها يداً ويختلقون من أنواع إصلاحها كلَّ حينٍ فنوناً ولم تقف فى سبيلهم عَقَبَة ولم يزلْ حاضرُ أمرهم مثلَ ماضيه واقفينَ فيه عندَ نهايةِ العملِ والنَّاسُ من حولِهم عندَ حدِّ الكلامِ والأوهام إلى أن يخطرَ للدنيا خاطرٌ جديد أو تطرأ على الاحتلالِ طوارئُ فتعيدُ أوّلَه إلى آخره وتردّ عَجُزَهُ على صَدْرِه[٦] وترجعُ ما بعدَه إلى ما قبلَه وعسى أن يكونَ ذلك اليومُ قريباً فتنال مصر ما تتمنّاه والأمرُ يومئذ لله .

إذن فالإنجليزُ قومٌ لا تقفُ فى سبيلهم عَقَبَة قولٌ أيّدناه بالبرهان وأثبتناهُ بالحجّة وصدقنا عليه بمرويّاتِ التاريخِ ومقرّراتِ الأحوالِ والأعمال وقد بقى أن نثبتَ قولَنا عنهم إنهم عَقَبَةٌ فى كلِّ سبيل لتتمّ العبارةُ على جملتها ويصدقَ القولُ على وجهه ولا دليلَ إلا ما نَرْويهِ

---

(١) الباب العالى : الأستانة .

(٢) الآونة : جمع آن وأوان : الوقت والحين .

(٣) درجت : مضت .

(٤) السنون جمع سنة . تجمع سنة جمع مؤنث سالماً فتقول سنوات وتلحق بجمع المذكر السالم فتقول : سنون وسنين .

(٥) الأحقاب جمع حقب : ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة أو السنون .

(٦) العجز : مؤخر الشىء أو الجسم . وعجز بيت الشعر : الشطر الثانى منه . والشطر الأول يسمى الصدر .

من صادقِ الأخبـار وجلىِّ الآثار ممَّا هو فى علمِ الجميع تردِّدُهُ الصحائف وتتلوه ألسنةُ المحدِّثين وسطورُ الأسفار فنقول :

نازَلَ نابليونُ الأوّلُ مصرَ ونزلَهـا فى بدء هذا القرن فأخرجَهُ الإنجليزُ منهـا وكانوا عَقَبَةً فى سبيلهِ ثم حارَب سوريا وافتتح أكثرَ مدائنِها فأخرجوه أيضاً وجلَوْهُ عن تلك الرّبوعِ وكانوا عقبةً فى سبيلهِ ثم قاتَلَ أوربّا ونازَلَ دُوَلَها وأخذَ أكثرها ثم تركها جميعاً وكان الإنجليزُ فى كلِّ ذلك عقبةً فى سبيله إلى أن أخذوهُ أخـيراً وكانوا السَّببَ فى وفاته منفيًّا وحيـداً فى جزيرةٍ حقيرةٍ فى آخرِ الدُّنيا بعد أن كانت الأرضُ تضيقُ بجيشِهِ وكان ينزلُ منهـا فى المقامِ الأوّلِ والمكانِ الرّفيع ...[1]

٣ — نجيب الحداد الاجتماعى

١ — الأخلاق والعادات

القمـــار

كان الميسر قد انتشر فى عهد المترجم له انتشاراً أشفق منه العقلاء على أخلاق الأمة أن تتدهور وتنحدر إلى الحضيض فنظم هذه القصيدة تلبية لاقتراح مجلة « البيان »[2] واستجابة لعاطفة اجتماعية تختلج فى صدره قال :

لـكل نقيصةٍ فى الناسِ عارُ وشَرُّ معايبِ المرءِ القمارُ

---

(١) « منتخبات نجيب الحداد » ص ١٤ .

(٢) مجلة « البيان » لمنشئها الشيخ ابرهيم اليازجى والدكتور بشارة زلزل صدرت سنة واحدة ثم استقل الشيخ إبراهيم بمجلته « الضياء » .

هو الداء الذى لا بُرْءَ منه ... وليس لذنبِ صاحبه اغتفارُ
تُشادُ لهُ المنازلُ شاهقاتٍ ... وفى تشييدِ ساحتها الدّمارُ
منازلُ كم أُريقَ دمٌ عليها ... وكلّ دمٍ أراقتهُ جُبارُ(١)
نصيبُ النازلينَ بها سهادٌ ... فإفلاسٌ فيأسٌ فانتحارُ
قد اختصرُوا التّجارةَ من قريبٍ ... فعُدْمٌ فى الدقيقةِ أو يسارُ
وبئسَ العيشُ فقرٌ مستديمٌ ... يعارضهُ يسارٌ مستعارُ
وبئسَ المالُ لا تحظى يمينٌ ... بهِ حتى تسلّمهُ اليسارُ
يفرُّ من البنانِ فليسَ يبقى ... لهم من إثْره إلا اصفرارُ
كأنَّ الزئبقَ الرجراجَ فيهِ ... يدورُ فلا يقرُّ لهُ قرارُ
كأنَّ وجوهَهُمْ نَدَماً وحزناً ... كساها لونَ صفرتهِ النُّضارُ
فبَيْنا تبصرُ الوجناتِ ورداً ... إذا هى فى خسارتهمْ بَهارُ(٢)
كأنَّ المالَ بينهمُ نجومٌ ... ورقعةَ لُعْبِهمْ فَلَكٌ مُدارُ
فبعضُ نجومهِ فيها سعودٌ ... وبعضُ نجومهِ فيها البَوارُ
تراهمْ حولَ بسطتِها قعوداً ... يُديرُ عيونَهُمْ ورقٌ يُدارُ
عصائبُ لا يودُّ المرء فيها ... أخاهُ ولا يراعى الجارَ جارُ(٣)
يلاحظُ بعضُهمْ بعضاً بعينٍ ... يكادُ يضىء أسْوَدَها الشّرارُ
فتحسبُ أنَّ بين القوم ثأراً ... ولا ثارٌ هناك ولا نفارُ

---

(١) الدم الجبار : الذى يذهب هدراً .
(٢) البهار : نبت طيب الرائحة زهره أصفر أكبر من زهر البابونج .
(٣) عصائب : جمع عصابة وهى الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير كقول النابغة وقد أشار بكلمة عصائب إلى جماعة الطير ثم الرجال :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم ... عصائب طير تهتدى بعصائب

ولكن جارتِ الأقدارُ فيهمْ ... ففي أبصارِهمْ منها ازورارُ[١]

كأنَّ عيونَهُمْ لمَّا أُديرتْ ... فَراشٌ حائمٌ والمالُ نارُ

فهمْ لا يُبْصرونَ سواه شيئاً ... كساري الليلِ لاحَ لهُ مَنارُ

وهمْ لا يعطفونَ على خليلٍ ... وليسَ يشوقُ أنفسَهُمْ مزارُ

وهمْ لا يذكرونَ قديمَ عهدٍ ... وليسَ لهم سوى الأمسِ اذِّكارُ

يذكّرهمْ بما خسروهُ فيهِ ... وما كانوا عليهِ وكيفَ صاروا

كرَبِّ الثأرِ أقبلَ يبتغيهِ ... فزيدَ عليهِ فوقَ الثارِ ثارُ

ترَى ألحاظَهُمْ فتخالُ فيهم ... خُمارَ طِلًا وليس بها خُمارُ[٢]

ولكنْ دارتِ الحسراتُ فيهمْ ... كما دارتْ بشاربِها العُقارُ[٣]

فكمْ غضبُوا على الأيّامِ ظلماً ... وكم حنقُوا على الدنيا وثاروا

وكم تركوا النّساء تبيتُ تشكو ... وتسعِدُها الأُصَيْبِيَةُ الصِّغارُ[٤]

تبيتُ على الطَّوَى ترجُو وتخشَى ... يؤرِّقُها السّهادُ والانتظارُ[٥]

فبئستْ عيشةُ الزّوجاتِ حزنٌ ... وتسهيدٌ وهجرٌ وافتقارُ

وبئستْ خَلّةُ[٦] الفتيانِ هَمٌّ ... وأتعابٌ وخسرانٌ وعارُ[٧]

---

(١) ازورار : مصدر ازور : عدل وانحرف .

(٢) الخمار : صداع الخمر .

(٣) العقار : الخمرة .

(٤) الأصيبية : تصغير صبية وأصبية جمع صبى

(٥) الطوى : الجوع .

(٦) الخلة : الخصلة .

(٧) ديوان « تذكار الصبا » ص ٥٩ — ٦١ .

فتيان اليوم

ولنجيب الحداد فى هذا الباب صيحات كثيرة فى الشعر والنثر يقرع بها العصا لذى الحلم ويهيب بالفتيان أن يكونوا رجالا يعتمد عليهم الوطن وتحليهم مكارم الأخلاق وقد كانت لوثة المدنية الغربية الزائفة قد تسربت إلى بعض النفوس الخائرة الخائرة . قال :

ليست المرأةُ لدى مرآتِها ولا الطفلةُ مع لعبتِها ولا الفقيرُ فى ثوبه الجديد ولا الدّنىء فى نعمتِهِ الحديثة ولا الخليلُ فى تقطيعه أبياتَ العَروض ولا أرخميدس عند اكتشافه الثِّقْلَ النَّوْعىّ ولا الحريرىّ عند نظم مقاماته بأغربَ هيئةً وأضحكَ حركاتٍ من شبّانِ هذه الأيّام لدى امرأةٍ يقابلونَها فى الطريق أو يجلسونَ إزاءها فى نادٍ عامّ أو تجمعُهُمْ لديها مركبةٌ كهربائيّة أو سكةُ حديد . ومن شاء أن يضحكَ على خفّةِ الشبّانِ ويعرفَ مقاديرَ العقولِ ويزنَ أثقالَ الأفهام ويعرفَ حقائقَ النُّفوسِ الصغيرةِ إذا داخلها التمدّنُ الجديدُ دفعةً واحدةً فأذهلها وأعماها عن واجباتِ الرجولية وحقوقِ الشبيبة والفتاء[1] فليتأمّلْ فى فتيانِ عصرِنا قليلاً ويتبعْ حركاتِهم يوميًّا ويتنبّهْ إلى مجالسهم وأحاديثهم فى محفلٍ جامعٍ أو مركبةٍ عموميّة فهناك يرى من غرائبِ الحركاتِ ما يبعثُ الضَّحِكَ والأسف ويظهرُ له من خفّةِ العقولِ فى الفتيانِ ما يشتهى لأجله الشيبَ والخَرَفَ .

ذلك أن الفتى من فتيانِ عصرِنا ينهضُ من فراشِهِ ولا نهضةَ الحسناء من خِدْرِها[2] ويقف لدى مرآتِهِ ولا وقفةَ بنتِ الهوى أمامَ عاشِقها

---

(١) الفتاء : الشباب والحداثة .

(٢) الخدر : ما يفرد للمرأة من سكن .

فلا يزالُ ينظّمُ فى ثيابه ويسوّى من مفارقِ شعرِهِ وغرّةِ جبينه وربطةِ قميصهِ وتدهينِ ملابسِهِ وتفتيلِ شاربَيْهِ ما لو صَرَفَ بعضَهُ على الصَّلاةِ لدخل الجنَّةَ بثيابه أو أنفقَ شيئاً منه على العلمِ لبَهَرَ الدُّنيا بمعارفه وآدابه حتى إذا تجلّتْ له محاسنُ وجْهِهِ وقنعَ من صِدْقِ مرآتِهِ بتمامِ بهائِهِ وجمالِهِ وزيّنتْ له عيناه أنَّهُ لم يخلق اللهُ مثلَهُ بين أترابِهِ[1] خرج يتخطَّرُ فى الشوارعِ وهو يرنو إلى النِّساء فيحسبُ أنَّهُ يوسف الصدّيق يقطّعنَ عليه الأيدى والأكباد[2] وهو لو نظرَ إلى نفسِهِ وتمائِلِهِ نظرةَ العقلِ لأطرقَ بنفسه خجلاً ولَشَتَمَ نفسَهُ أو كاد . . .

مهلاً فتياننا الأدباء النـافخين[3] روائحَ وعطوراً . المقلدين النِّساء زينةً وزخرفةً وزهورًا . والخاطرينَ نُقَطاً سـوداء فى سماء المدنيَّة وهم يحسبونَ أنفسهم بدوراً . والمتقرّبين إلى الغاداتِ بمثلِ هـذه السفاسفِ الدّنيا فما يزددنَ إلا نفوراً . ما هكذا تستمالُ الغادةُ الحسناء . ولا من هذا السبيلِ يتوصَّلُ الفتى إلى أفئدةِ النساء . إن الفتى خُلِقَ ليزينَهُ الأدبُ لا ليزينه الذَّهب . ووُجِدَ ليحلِّيَهُ الكمالُ لا ليحلِّيَهُ الدلال . وأبْدَعَهُ اللهُ ليكونَ رجلاً بين النّساء لا امرأةً بين الرّجال . إنَّ المرأةَ لا تحبُّ من الرجل جمالَهُ إذا كان ناقصَ العقل . ولا تنفرُ من نقْصِ محاسِنِه إذا كان كاملَ الفضل . وإن جمالَ العقل هو الجمالُ الأعلى وجميع محاسن الوجه دونه .

---

(١) الأتراب : جمع ترب : الصديق أو من ولد معك .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة فى سورة يوسف : « فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » .

(٣) نفح الطيب : انتشرت رائحته .

وسبحان من جعل الجسمَ تمثالاً عاطلاً[١] وجعل العقلَ له زينة[٢] .

السيدات فى المركبات

أخذت الحضارة الغربية تفعل فعلها فى بلاد الشرق وأخذ السفور ينتشر بين النساء ويضفى عليهن شيئاً من الاستقلال والحرية فأصبحن بمصر فى عهد الحداد يخرجن سافرات ويركبن المركبات متنزهات أو لقضاء الحاجات فقال يصفهن فى المركبات :

مَن بدورٌ تسيرُ فى المركباتِ ومن القبَّعاتِ فى هالاتِ[٣]
كلّلتها أزاهرُ الصّنعِ من نبـــتِ الأيادى لا من أيادى النباتِ
أقحوانٌ يفاخرُ الثَّغرَ فى الحُسْـــنِ وورْدٌ يفاخرُ الوَجَنات[٤]
زَهَراتٌ ما حاكَها ابنُ سحابٍ فى رُبى الرَّوضِ بل بنانُ البناتِ
قد عداها طيبُ الأزاهرِ لكنْ قد عدا الزهرَ ما بها من ثباتِ
إن يكنْ فاتَها الأريجُ فقد عوّ ضنَ عنـهُ روائحَ الغانياتِ

---

(١) العاطل : الخالى . يقال امرأة عاطلة أى ليس عليها حلى . وقد جمع الطغرائى بين العطل والحلى فى مطلع قصيدته المشهورة بلامية العجم حيث قال :

أصالة الرأى صانتنى عن الخطل وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

أما قصيدة الشنفرى المشهورة بلامية العرب فطلعها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأميل

على أن معنى العطل والحلى قد أبدع فيه الشريف الرضى فى القصيدة التى أرسلها إلى الإمام القادر بالله أبى العباس أحمد بن المقتدر وقال فيها :

عطفاً أمير المؤمنين فإننا فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فإننى أنا عاطل منها وأنت مطوق

(٢) « منتخبات نجيب الحداد » . ص ١١٦ — ١٢٠

(٣) هالات جمع هالة : دارة القمر .

(٤) أقحوان : نبات له زهر أبيض واحدته أقحوانة .

أو يكن فاتَها رياضُ جنانٍ فهْيَ فوقَ الرؤوسِ فى جنّاتِ
أو عَدَتْها الغصونُ فهْيَ على مثْـــلِ غصونِ الرُّبَى من القاماتِ
كلُّ هيفاء تفضحُ البدرَ فى الحُسْـــنِ وظبيَ الفلاةِ فى اللَّفَتاتِ[1]
سائراتٌ جوالسٌ فهْيَ لم تعْجـــلْ ولكنَّها على عجلاتِ[2]
مفرداتُ الجمالِ تنطلقُ الخيـــلُ فُرادَى بها ومُزْدَوجاتِ
وكأنَّ الجيادَ تشعرُ بالحسْـــنِ فتجرى بهنّ مفتخراتِ
قد درَتْ أنَّها تجرُّ بدوراً فتبارَتْ كالأنجمِ السائراتِ
مسرعات ترى الدواليبَ من سُرْ عَتِها فى مرورهـا ثابتاتِ
ويدورُ النّسيمُ فى الرِّيْشِ فوقَ الـــرُّوسِ حتى تخالها طائراتِ
وقلوبُ العشّاقِ تتبعُ الغيـــدَ تبارى أفراسَها الجارياتِ
وتحومُ الأبصارُ تذهبُ الحسْـــنَ انتهاباً من أعينٍ ناهباتِ
وتضلُّ العيونُ بين جمالٍ وجمالٍ فتغتـدى حائراتِ
صاحِ هذى هوادجُ الخضَر اليو مَ فخلِّ الهوادجَ الباديات[3]
ودَعِ النّوق والفلاةَ فلا نو قاً بأحيائِنا ولا فلواتِ
ودعِ العيسَ والحداء لقومٍ ألِفوا عيسَهُمْ وزجرَ الحداةِ
تلك حالٌ مرّتْ قديماً وذى حا لٌ وسبحانَ مُبْدِلِ الحالاتِ
إنّما عيسُنا سوابقُ خيلٍ ولدينا هوادجُ المركباتِ
فهناكَ الجمالُ تأخذُهُ العَيْـــنُ جليًّا ويأخذُ المهجاتِ

---

(١) هيفاء : مؤنث أهيف وهو الرقيق الخصر .
(٢) جوالس : جمع جالسة .
(٣) الهوادج : جمع هودج : محمل له قبة كانت تركب فيه النساء .

وهناكَ الدُّمى تباحُ للحظِ الـــطَّرْفِ لكنّها من المُحْصَناتِ[١]
حسناتُ العصرِ الذى كلُّهُ نو رٌ يُجَلّى غياهبَ الظلماتِ
إنْ يَسُؤْنا الماضى فقد سرَّ آتٍ فاغتفرْ ما مضى بما هو آتِ[٢]

ب — العدالة الاجتماعية :

الفقير والغنى

كان نجيب الحداد رجلا رقيق العاطفة يرى البؤس فيحنو على البائسين وكان مصلحاً اجتماعياً وقف قلمه على الدعوة للعدالة الاجتماعية بين الناس وله فى ذلك الفصول الضافية وهذا المقال منها :

قل للغنىّ المترفِ السّارحِ فى مراتعِ نعمائِه ، السّاحبِ ذيلَ خُيلائه على بنى الإنسانِ نظرائِه . المتقلّبِ فى أعطافِ النّعمةِ والهناء لا يحسُّ بما فى الدّهرِ من شقائِه . الرّاكبِ الخيلَ الجيادَ تجرى به عَنَقاً[٣]. السّابحِ فى بحار الغنى والتّرفِ يكاد يشكو فيها غَرَقاً . النائمِ على حشايا الحريرِ والدّمَقْسِ[٤] النّاعِمِ . المتنعّمِ بما لديه من ملذّاتِ الحياةِ بين المشاربِ والمطاعِمِ . قفْ هذا النّظَرَ الذّاهبَ فى السّماء قليلاً . ومِلْ بتلكَ النّعمةِ التى تجرّ من فضولِ أثوابِها ذيولا . على فقيرٍ يسأل منك رحمةً ويسترحِمُ منك سُولا[٥] . ولا تمشِ فى الأرضِ مَرَحاً إنّكَ لن تخرِقَ الأرضَ ولن

(١) الطرف : العين . المحصنات : العفيفات .
(٢) ديوان « تذكار الصبا » ص ٤٠ — ٤١
(٣) عنقاً : سريعاً .
(٤) الدمقس : الحرير الأبيض .
(٥) السول والسؤل : ما يسأل .

تبلُغَ الجبالَ طولا[١] . وانظُرْ إلى حالِ التعيسِ[٢] القـاعدِ به العُدْمُ فى مرابعِ شقائه . السَّاحبِ الدَّهرُ عليه ذيلَ فقرِهِ وعَفائه[٣] . المتقلّبِ فى أعطافِ المِحَنِ والبؤسِ لا يعلمُ بما يشعرُ به الغنىُّ من هنائِهِ . الرّاكبِ رجليهِ يقودُهُ زمامُ الحاجة خَبَباً . الغارقِ فى تيّارِ العوَزِ لا يكادُ يرجو إلى خلاصِهِ سَبَباً . النّائم على بساطِ الأرضِ يلتحفُ مشقّةً وتَعَباً . الضعيفِ عن طلبِ رزقِهِ بمساعيهِ والعاجزِ عن أن يقولَ واحَرَبا[٤] . ثم انظُرْ إلى مَنْ حولَهُ من صبيةٍ صغارٍ يتضاغون[٥] جوعاً . ونساء قاصراتٍ يمنعهنَّ الحياء ذلاً ويمنعهنَّ الذلُّ هجوعاً . وما بينَ ذلك من أصلٍ كريمٍ تقضى عليه الحاجةُ تقدّماً وينازعُهُ الخجلُ رجوعاً . فليسَ الفقيرُ مَنْ يسألُ على قارعةِ الطريق . ولا مَنْ يتعارَجُ رغبةً فى الفرَجِ[٦] من الضّيقِ . ولا من يبسطُ كفَّهُ للمسئلة[٧] فينالُ الحاجةَ من كفِّ الشفيق . بل الفقيرُ من تقدّم لنا وصفُ حالِهِ بجهله الغنىُّ الغريبُ ويقصرُ عن إسعافه المعوز الصديق .

فما ضرَّ الأغنياء الذين ينفقونَ أموالَهُمْ على سبلٍ لا تذكر . وفى مذاهبَ

---

(١) «ولا تمش فى الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» . آية من آيات القرآن الكريم فى سورة الإسراء ضمن بها كلامه .

(٢) المسموع عن العرب : رجل تاعس وتعس (انظر لغة الجرائد لليازجى) .

(٣) العفاء : الهلاك .

(٤) واحربا : أصله واحرباه وحذف هاء السكت للسجع . جملة يقولها من يدعو بالويل .

(٥) يتضاغون : يتضورون جوعاً .

(٦) إشارة إلى قول القائل :

تعارجت لا رغبة فى العرج ولكن لأقرع باب الفرج

(٧) المسئلة : السؤل والطلب .

لا تُشْكر . وفى أمورٍ يحتاجون من بعدها إلى الإسعاف . وأما كنَ يعيشون فيها رغدَ أيامٍ ثم يتمنَّوْنَ على آثارها الكَفاف[١] . لو صرفوا بعضَ ذلك المالِ فى تأليفِ جمعيَّاتٍ خيريَّةٍ ينفقونَ عليها فَضْلَةَ المال . ووقفوا بعضَ حنينِ قلوبهم إلى غيرِ ما تحنّ إليه من صبابة المحاسن والجمال . وكَفَوْا تلك الاسَرَ النازلَ بها الدّهرُ شَرَّ سؤالِها وأراحوا أنفسَهُمْ من ثقلِ السؤال[٢] . .

الخادم والمخدوم

وعلى مثل تلك النغمة يضرب فى هذا المقال ويصحح الأوضاع بين الخادم والمخدوم أو بين العامل وصاحب العمل كما نقول اليوم :

متى تَرَى الرّجلَ مطرِقاً مهموماً يفكّرُ فى مستقبلِ أيّامِهِ . وحزيناً كئيباً يحسبُ لغَدِهِ قبلَ عامِه . ويحرصُ على صحّتِهِ كما يحرصُ على رأسِ مالِهِ . إذ لا مالَ له سواها وهو مع ذلك يُنْفِقُها عَرَقاً يسيلُ من ثنايا الجبينِ العابسِ ونوراً ينبعثُ من حَدَقَةِ تلك العَيْنِ الكليلة وفكراً تقسّم بين عملهِ المندوبِ إليه بدافعِ المعيشة والاحتياج وبين عيلتهِ[٣] المدفوعِ إليها بداعى الحنوّ والتّسخير . فقلْ هذا هو الخادمُ ربُّ البيتِ والأولاد . يعملُ لطعامِ اليومِ من شُغْلِ اليوم ويسألُ السَّلامةَ للغد ليعملَ فى الغدِ ولا أملَ له من هذه الحياةِ الدّنيا سوى مخدومٍ أوَى إليه وعافيةٍ يستعينُ بها عليه

---

(١) الكفاف : ما كفى وأغنى .

(٢) « منتخبات نجيب الحداد » ص ٩ — ١١

(٣) عيلة الرجل : أهل بيته الذين يعولهم .

وصبيةٍ صِغارٍ يرجو أن يقوى على قُوتِهِمْ وسَدِّ حاجتهمْ قبلَ أن يرجوَ لهم بلوغَ الشّباب ويؤمّلُ منهم النَّفْعَ والإسعاف .

ومتى رأيتَ الرّجلَ يمشى فى الأرضِ مَرَحاً ويختالُ فى مشيتِهِ فرحاً ويرفعُ أبصارَهُ إلى العلاءِ كِبْراً[1] قبل أن يرفعَها للهِ شكراً ويدخلُ إلى حانُوتِهِ آمراً ناهياً يسخطُ على خادمٍ لا يرضيه أو يتظاهرُ بالغضبِ عليه لكى لا يطمعَ فيه أو يدّعى القلّةَ والخسرانَ لكى لا يزيدَ فى راتبِهِ ما يكفيه . فقل هذا هو المخدومُ — أو البعضُ من أمثالِه — يحاسبُ على الدّرهم ويخزنُ فى الكيس ويعدُّ مؤونةَ الدهر ويجمعُ لآخر الأبد . وقد أنساهُ الغِنى أنَّ فى الأرضِ موتاً دائراً وقضاءً محتوماً وأن وراءهُ خادماً عاملاً لا أملَ له بعد الله إلا به ولا معوَّلَ إلا عليه ولا رجاء إلا عنده ولا طمعَ بمستقبلِ العمرِ والاستعانة على شدائد الدّهر إلا فيه وفى مكارمِ أخلاقِهِ وقد لا يكون من أصحابِ تلك الأخلاقِ كما يكونُ خادمُهُ من أصحابِ تلك الآمال .

نقولُ ذلك ولا نقصدُ به كلَّ مخدومٍ على الإطلاق فإن منهم الكريمَ تفيضُ نعمةُ اللهِ عليه فيفيضُها على مَنْ حواليه وتنبسطُ يدُ الخير لإسعافِهِ فيسعفُ بها من يعيشونَ فى أكنافه[2] وصاحب الشّفقة لا ينامُ ويتركُ خادِمَهُ ساهراً ولا يقرُّ له فكرٌ ما دام فكرُ خادمِهِ حائراً ولا يشعرُ أنّهُ وفى حقّ مولاه من الشّكر إلا إذا وفى خادمَهُ ما لَهُ من الحقّ والأجر

---

(١) الكبر : التجبر .

(٢) الأكناف : جمع كنف : الجانب .

وأولئك قومٌ يحقُّ لهم فرض الثّناء ولهم نصيبهُمْ فى الحياةِ الدنيا ولا يعدمونَ أجرهم فى السّماء . ولكنا نريدُ بعض المخدومين الذين يحسبونَ الخادمَ عبداً ويجدونَ العاملَ رقيقَ الحاشية فيظنُّونَهُ رقيقاً ثم يذهبُ بهم الوهمُ إلى أنه متاعٌ ساقطٌ فى أيديهم وشىء صار إلى ملكهم وآلةٌ تُهانُ فى سبيل كرامتهمْ وتعمل من أجل راحتِهمْ وتذلّ درجاتٍ لارتفاع معزّتهم . وهلم جرًّا مما يضيق دونهُ القرطاسُ وتتلهَّبُ من حدّةِ ذكره الصدور والأنفاس ...[1]

حـ — نهضة المرأة

المرأة والعلم

لنجيب الحداد فى ميدان المرأة صولات وجولات فهو الداعى إلى تحريرها والمهيب بالرجل إلى تعليمها وتهذيبها والمنافح دون حقوقها والباذل لها النصح بأن تكون فى الشرق المرأة الفاضلة التى تكلم عنها سليمان الحكيم وهذا مقال ينادى فيه بوجوب تعليم المرأة قال :

... وإذ قد تبيّن ذلك ووجد كلُّ امرئٍ من نفسه حاجةَ المشاركة لصديقه فى فهمِه ووجداناتِه فقد تبيّن ما لتعليم المرأةِ من الوجوبِ فى هذا العصر الذى اتسعت مداركُ أهلِه وانتشرتْ المعارفُ والعلومُ فيه حتى قلَّ أن يخلوَ من بعضها صدر أو أن لا يكون لها فى كتابِ كلِّ فؤادٍ صفحةٌ أو سطر ولستُ أقصدُ بذلك أن تتعلَّم المرأةُ حتى تكونَ عالمةً بل أن تعرفَ قدرَ العالم فإن فى معرفةِ قدْرِ العلماء ومنزلةِ عقولهم لذّةً هى جانبٌ من لذّةِ العلم ونصيبٌ من حلاوةِ الإدراكِ والفهم

(١) « منتخبات نجيب الحداد » ص ١١ — ١٣

ولا أن تزاولَ الكتابةَ والإنشاءَ[1] حتى تكونَ كاتبة بل أن تفهمَ معانى الكتابة والإنشاء ويكونَ لها فى مخيّلتِها تأثيرٌ تشاركُ فيه سواها من العارفين . ولا أن تكونَ مُجيدةً فى كلّ فنٍّ تصرف فيه أيامَها وتقفُ على تحصيلِه جدَّها واجتهادَها بل أن تكونَ من كلِّ فنٍّ على طرفٍ وخبرة حتى إذا عرضَ لها حديثٌ منه عرفتْ ما تقولُ عنه أو ما يقالُ لديها فيه لا تزلّفاً لعِشْرةِ الناس وترشّحاً لصدورِ المجالسِ بل إرضاءً لزوجِها ومسرّةً لنفسِها ومشاركةً لشريكها فى حياتِها واستدامةً للصّداقةِ والودِّ فى نفسين جمعَ بينهما الوِدادُ والغرام ثم أيّدتْ صلاتهما القرائحُ والأفهام . وما أبدعَ الفادةَ يزينُها العلمُ والكمال كما يزينُ قوامَها الاعتدالُ والجمال . وأن تكونَ فصيحةَ النّطقِ بألفاظِها كما هى فصيحةُ السكوتِ بألحاظِها . حتى تكونَ هى الحسناء من جميعِ جهاتِها ويكونَ الرجلُ قرينَ محاسنِها كما هو قرينُ صفاتِها[2] .

---

(١) كان الحداد من أنصار تعليم المرأة لتكون متعلمة لا متحذلقة وأين هذا من قول أبى العلاء :

علموهن الغزل والنسج والرد ن وخلوا كتابة وقراءه

(٢) « منتخبات نجيب الحداد » ص ١٣٩ — ١٤٠

د — الحوادث والظواهر

سكة الحديد

مد سكك الحديد بمصر حدث عظيم ظاهر من حوادث النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى أرض الكنانة فكيف لا يسجله الشعر . لقد سجله نجيب الحداد فى قصيدتين وإنما آثرنا نشر هذه القصيدة لأنها اقترحتها عليه الحكومة المصرية لترسم على محطة القاهرة الجديدة وقد نسبت خطأ إلى مصطفى نجيب فى بعض كتب المحفوظات وهى هذه :

يا حسنَ عصرٍ بعبّاس العُلى ابْتَسَما ... حتّى الحديد غدا ثغراً له وفما
طرائقٌ فى ضواحى القطرِ تبلغُنا ... أقصى البلادِ ولم تنقلْ بها قَدَما
مصرٌ كصفحةِ قرطاسٍ بتربتِها ... غدا القطارُ عليها الخطَّ والقلَما
أرضٌ بها كان خصبُ النيلِ منتثراً ... حتى أتاها قطارُ النارِ فانتظما
لنا غنًى عن قطارِ السُّحْبِ منسجماً ... ولا غنًى عن قطارِ النّارِ مضطرِما
يجرى بها الرّزقُ فى جسمِ البلادِ كما ... يجرى دمٌ فى عروقِ الجسم منتظِما
محطّةٌ هىَ قلبٌ والخطوطُ بدتْ ... مثلَ الشّرايينِ فيها والقطارُ دما
معَ السّلامةِ يا من سارَ مرتحِلاً ... عنّا وأهلاً وسهلاً بالذى قَدِما[1]

احتراق سوق الشفقة

أقيمت بباريس سنة ١٨٩٧ سوق للخير والإحسان وشاء القدر القاسى أن تندلع ألسنة النار فى مبانى السوق وكانت من خشب فتلتهمها فى نحو عشرين دقيقة وتلتهم معها نحو مئتى نفس من النفوس الشريفة الخيرة فكان لتلك الفاجعة رنة حزن وأسى فى جميع البلاد هزت عاطفة نجيب الحداد فرثى الضحايا بهذه القصيدة :

أىُّ رُزْءٍ أجرى الدُّموعَ دِماء ... وأذابَ القلوبَ والأحشاء

(١) ديوان « تذكار الصبا » ص ٥٩

وأسالَ النّفوسَ حزناً وأذْكى الـــصَّدْرَ نارًا واستنزفَ العينَ ماء[١]
أيُّ خَطْبٍ أصابَ باريسَ أمَّ الـــمُدْن بنتَ التمدّنِ الزَّهْراء
فجعةٌ أكمدتْ ضُحاها وقد خـــصّتْ بَنيها وعمَّتِ الغُرَباء
ليس بِدْعٌ في خَطْبِ باريسَ أنْ تشـــملَ آثارُ حزنِهِ الدُّنياء[٢]
هيَ قلبُ الدُّنيا أُصيبَ بسهمٍ فأصابتْ آلامُـــهُ الأعضاء
وهْيَ أمُّ الآدابِ أثكلها الدَّهْـــرُ فأبكتْ بوجْدِها الأبناء
قد دهاها مصابُ سادومَ لكنْ خَصَّ من بينِ قومِها الأبرياء[٣]
فهْيَ في الحزنِ مثلُ راحيلَ إذْ تبـــكي بَنيها ولا تريدُ عزاء[٤]
أصْلَتِ الكهرباءَ فيهـــا لهيباً قد كرِهْنا لأجلهِ الكهرباء
ورَماها نورُ الضّياء بنارٍ أظلمَتْها فما تُلاقي الضّياء

---

(١) أذكى : أوقد .

(٢) الدنياء : الدنيا . وكريه في الشعر مد المقصور وإن استعمله بعض كبار شعراء العرب من مثل أبي نواس القائل :

ما زال يمطل من ينتاب حانتها حتى أتتني وكانت ذخر موتاني
ونحن بين بساتين فتنفحنا ريح البنفسج لا نشر الخزاماء
ولائم لامني جهلا فقلت له إني وعيشك مشغوف بمولاني

أو مثل أبي تمام حيث يقول في مدح محمد بن خالد بن زيد بن مزيد :

وإذا الكريهة شب نار وطيسها ثم اصطلى الأقصى من الأدناء
أرعبت صعب قيادها بمهند وتركتها كالرعلة العمياء

الأدناء : الأدنى . والرعلة : النعامة .

(٣) سادوم أو سدوم وكذلك عمورة مدينتان من مدن العهد القديم أمعن أهلهما في الفحش والمعاصي فأمطر الرب عليهما كبريتاً وناراً فدمرهما وأباد أهلهما ولم ينج منهم بأمر الرب إلا لوط وابنتاه .

(٤) راحيل : كلمة عبرانية معناها الشاة وفي العهد القديم اسم البنت الصغرى للابان وزوجة يعقوب ولدت له يوسف الصديق وبنيامين وماتت عند ولادتها بنيامين فدفنها يعقوب

فى مكانٍ أنشى لدفعِ بلاء عن فقير فكان فيه بلاء[١]
سوقُ برٍّ تباعُ فيها اللُّهَى بَيْـ ـعاً ويُشرَى الثّوابُ فيها شراء[٢]
زيّنتْها بيضُ الأيادى وأيدى الـ ـبيضِ من محسنٍ ومن حسناء[٣]
أنفُسٌ تبتغى السَّماء فما أمـ ـسينَ إلّا وقد بلغنَ السَّماء
أدركتْ ما تروم من جنّةِ الخلْـ ـدِ ولكنْ كان الطريقُ صِلاء[٤]
مَنْ رأى قبلَها جحيماً يؤدِّى لنعيمٍ أبناءهُ الشّهداء
أو رأى محسناً يجودُ على النَّا سِ فيلقى نارَ الحريقِ جزاء
أتُرَى كان ذاكَ مَطْهَرَ من ما تُوا فيمحو عن النفُوسِ الخطاء[٥]
أمْ هُوَ الدّهرُ لا يزالُ مسيئاً لكريمٍ ومُكْرِماً مَنْ أساء[٦]

بالرامة قرب بيت لحم . وعندما يصف إرميا النبى جزع قبيلة بنيامين ونكبتها فى أسرها يطلق عليها اسم راحيل ويقول : « هكذا قال الرب صوت سمع بالرامة ندب وبكاء مر راحيل تبكى على بنيها وقد أبت أن تتعزى عن بنيها لأنهم ليسوا فى الوجود » . (نبوءة إرميا ١٣ – ١٥) فذهب اسم راحيل مثلا فى الجزع وقلة العزاء .

(١) أنشى : مخفف أنشىء.

(٢) اللهى : جمع لهوة وهى العطية . واللها : جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى سقف الفم . ومن الأمثال : اللهى تفتح اللها .

(٣) بيض الأيادى كناية عن الإحسان . وأيدى البيض كناية عن الحسان .

(٤) الصلاء : مصدر صلى . يقال صلى النار وبها : قاسى حرها أو احترق بها .

(٥) المطهر عند المسيحيين : مكان تطهر أنفس الأبرار فيه بعد الموت بعذاب له أجل محدود .

(٦) ديوان « تذكار الصبا » ص ٢٠ – ٢١

٤ — نجيب الحداد الأديب

١ — أدب البحث

مقابلة بين الشعر العربى والشعر الإفرنجى

عقد نجيب الحداد ثلاث مقالات فى هذا الموضوع نشرت تباعاً فى مجلة « البيان » لمنشئها الشيخ إبرهيم اليازجى والدكتور بشارة زلزل استهلها بالكلام على الشعر فى الشرق والغرب منذ أبعد الأزمنة إلى أيام كتابة هذا البحث ثم انتقل إلى المقابلة بين الشعر العربى والشعر الإفرنجى من حيث اللفظ والمعنى . وهذا الذى ننشره هو بعض القسم الأخير من المقال الثالث قال :

. . . . ومما فاق الإفرنج فيه فى مقام الشعر وانفردوا به دوننا نظمُ الروايات التمثيلية واعتدادها من أوّلِ أبوابِ الشعر وأسمى درجاته وأشدّها دلالةً على براعةِ الشاعرِ وحسنِ اختراعه وهم مصيبون فى هذا الاعتقاد كلَّ الإصابة لأن فى نظمِ الرواية الشعريّةِ من الدلالةِ على الفضل والإبداعِ أكثر مما فى نظم الديوان من القصائد والمقطعات إذ هى تقتضى حسنَ الاختراع فى تأليفِ حكايتِها وبراعةَ النظم فى وضعِ أبياتِها ولطفَ التصوُّرِ فى بيانِ شعائرِ ممثّليها واختلافِ حالاتهم ودقّةَ النظر فى تبويبِ فصولها وتوثيقِ عقدتِها ووصلِ بعضها ببعض مما يستازمُ رويّةً طويلةً وعارضةً شديدةً وقدرةً فائقةً فى التصوّر والنظم والتأليف على غير ما تقتضيه القصائدُ والمقاطعُ المستقلّة التى يقصد بها الناظم غرضاً واحداً فيأتى به فى أبياتٍ معدودة لا يضطرُّ فيها إلى عقْدِ حكايةٍ ولا إلى تمثيلِ عواطفَ

متعدّدةٍ ولا إلى إقامةِ نفسه فى موقفِ كلِّ شخصٍ من أشخاصِ الرواية يتكلَّمُ بلسانهِ وينطقُ عن شعورهِ ويضعُ فى دوره التمثيلى ما كان ينبغى أن يقولَهُ صاحبُ الدور الأصيل . وقد انتقل هذا الفنُّ إلينا فى هذه الأيام واشتغلَ به جماعةٌ منَّا نظموا فيه الرواياتِ الشعريّةَ وأخصُّهم المرحومُ المأسوفُ عليه الشيخ خليل اليازجى فى روايته « المروءة والوفاء » إلا أننا لم نبلغ فيه مبلغَ الإفرنجِ بعدُ ولا وصلنا إلى ما وصلوا إليه من درجةِ كمالهِ وإتقانه .

ومن الفرق بيننا وبينهم فى نظمِ الشّعرِ أننا نفوقُهُمْ فى وصف الشىء وهم يفوقوننا فى وصفِ الحالة أى أننا إذا وصفنا الأسدَ أو الفرَسَ أو القصرَ أو الفتى الجميلَ أو الغادةَ الحسناء أتينا فى ذلك بأحسنَ مما يأتونَ به وتوسَّعْنا فيه توسُّعاً لايقدرون هم على الإتيانِ بمثله . وإنهم إذا وصفوا حالةً من قتالِ رجلين أو معركةِ جيشين أو مقابلةِ محبَّين أو غرقِ سفينةٍ أو مصابِ قومٍ جاءوا فى ذلك بأحسنَ مما نجىء به وتوسَّعُوا فيه بما لا نقدرُ أن نسبقهم إليه . ومثال ذلك أن المتنبى وصفَ الأسدَ بما لا يقدرُ إفرنجىٌّ على وصفه بمثله وهيكو وصفَ معركةَ واترلو بما لايقدرُ شاعرٌ عربىٌّ على الإتيانِ بنظيره فهم بذلك أقدرُ على تصوير الوقائعِ ونحن أقدرُ على تصويرِ الأعيان لأننا إذا وصفنا الشىء بلغنا من بيانِ صفاتهِ إلى أدقِّها وأخفاها وتوصَّلْنا من إدراك معانيهِ إلى أصغرها وأدناها حتى لا نبقى منه باقيةً ولا تفوتنا منه حقيقةُ وصف وهم إذا وصفوا حالةً أو موقفاً توصَّلوا إلى أخفى دخائلهِ وأبانوا عن أدقِّ خفاياه وبسطوا لعينِ الفكر ما لا تكادُ تبصرُهُ عينُ الحسِّ من غوامضهِ وسرائره وذلك لأنهم يتبعون وجدانات النفس إلى أقصاها فلا يفوتون منها جليلاً ولا دقيقاً وهى المزيّةُ التى يعتبرون الشاعر بها

ونحن نشير إلى تلك الشعائر إشارةَ إجمال ونترك إلى القارئ تمامَ التصوُّر والتفصيل . . .[1]

ب — أدب المقالة

قدر انجيب الحداد أن يبث أدبه فى الصحف والمجلات فيعد فى النفر الذين خلعوا على أدب المقالة ثوباً من الحسن والرواء وكل هذه النماذج التى اخترناها له كان قد نشرها فى الصحف فقد كان الأدب عدة الصحافى فى عصره فكل أديب صحافى ولا يعكس أما اليوم فقد أصبحت الصحافة فناً أو علماً قائماً برأسه والأدب بعض خصائصه . وكان السجع أو الترسل هو البرد القشيب الذى يجلو به مقالاته وكثيراً ما كان يفتتح المقال ساجعاً ثم يطرق لبابه ويفرغ منه مترسلا .

ج — أدب القصة

ألف نجيب الحداد وترجم كثيراً من القصص والتمثيليات فأما القصص المؤلفة فهو صاحب معانيها وأسلوبها وأما القصص المترجمة فكانت سجيته العربية تغلب عليه فيها فيحلى مواقفها بأمثال عربية وأبيات من الشعر العربى . وإليك بعض صفحات من رواية « الفرسان الثلاثة » قال :

ليلة الرقص

وفى اليوم الثانى شاع فى المدينة خبرُ الليلة التى عزم الملك على إحيائها للرقص وما صارت الساعة السادسة حتى توافد المدعوون إلى قاعة الرقص أفواجاً يخطرون فى مطارف السّندس والدّيباج والنساء يَمِسْنَ بالحلى والحلل كأغصان بان على كثبان :

من كل باهرة الجمال كدميةٍ من لؤلؤٍ قد صوّرت فى عاجِ

---

(١) « مجلة البيان » : السنة الأولى . الجزء التاسع .

تمشى وترفل فى الثياب كأنها غصن ترنّح فى نقاً رجراجِ

فلما كان نصف الليل علا الضجيج والتهليل لقدوم الملك ثم دخل الملك إلى القاعة تحفّه السَّراةُ والأشراف وهو عابسُ الوجه مقطّب الحاجبين ولم يدرِ أحد لذلك سبباً وبعد دخول الملك بقليل عادت أصوات التهليل ترتفع ثم دخلت الملكة إلى القاعة وعلى وجهها سماتُ الكدر والتعب وكان الكردينال ينظر إليها نظرة الأسد إلى فريسته إذ لم ير عليها العقدَ[1] فأقامت الملكة برهةً تسلم على الحضور ثم دخل الملكُ من أحدِ أبواب القاعة وإلى جنبه الكردينال يكلّمهُ سرًّا وهو يتلوّن وأقبلَ حتى انتهى إلى الملكة فقال لها أين العقدُ يا حنّة ولماذا لا أراه عليك فنظرت الملكةُ حولَها فرأت الكردينال واقفاً وراءها وهو يتبسّمُ تَبَسُّمَ الأبالسة فقالت : خشيتُ يا مولاى أن يسقطَ منى فيضيعَ بين هذه الجموع . قال : لقد أخطأ زعمُكِ فما أهديتُكِ إيّاه إلا لتلبسيه . وكان الملك يتكلم وصوتُهُ يرجفُ من الغضبِ وكثر تحدُّثُ الناسِ بما يكون فقالت الملكة : إذا شاء مولاى فإنى أحضرهُ من اللوفر فى الحال . قال نعم وأسرعى فإنَّ ابتداءَ الرقصِ قد قربَ ثم تركها وانحاز إلى الرجالِ وانحازت هى إلى النّساء وكان الناسُ منتشرين فى تلك القاعة مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ يتحدّثون بما كان

---

(١) كان هذا العقد قد أهداه الملك إلى زوجته وأهدته هى إلى عشيقها الدوق دى بكنجهام على سبيل التذكار فنقل الجواسيس الخبر إلى الكردينال ريشليو وكان من أعداء الملكة فأوعز إلى إحدى محظياته بالسفر إلى لندن والتلطف بالدنو من الدوق بكنجهام وسرقة فصين من العقد فنفذت ما أمرها به ثم اقترح على الملك إحياء ليلة راقصة تتحلى فيها الملكة بالعقد فقبل الملك الاقتراح وأنهاه إلى الملكة بعد أن عين الكردينال موعد الليلة الراقصة فامتقع لون الملكة ولم تجد مفراً من الوعد بشهود الليلة متحلية بالعقد وقد أسقط فى يدها وهى لا تدرى كيف تتقى هذه الفضيحة .

وما سيكون وكلُّهُمْ فى رَيْبٍ مما جرى فدنا الكردينال من الملك وأعطاه علبةً ففتحها وإذا فيها فصَّانِ من ألماسٍ فقال الملك : ما هذا . قال : إنَّ عقدَ الملكة فيه اثنا عشر فصًّا وهذان منها فإذا لبستْهُ الملكة فُقِدَّ فصوصَه وفيما الملك يفكّرُ فى الأمر ولا يهتدى برزت الملكةُ بثيابِ الرّقصِ تشرقُ كالشمس بهجةً وجمالاً بما عليها من اللباس والجواهر وعليها العقد يلمعُ كنجومِ الثريَّا [1] فسُرَّ الملكُ سروراً شديداً وعلا الاصفرارُ وجهَ الكردينال ثم بدأ الرقصُ ومالت القدودُ مَيْلَ الأغصان فكان الملكُ كلما دنا من الملكة ينظر إلى العقد فلا يتمكن من عَدِّ فصوصِهِ وبعد ساعةٍ من الرقص تقدَّمَ الملك إليها وقال لها : لقد وجبَ لكِ علينا الشّكرُ فى امتثالِ أمرنا فى العقدِ ولكن ساءنا أنه ناقصٌ فصَّيْنِ وهاهما فقالت الملكة : إذن يكونُ لنا أربعةَ عشرَ فصًّا فإن العقدَ كاملٌ يا مولاى . فنظر الملكُ إليه وعدَّهُ فوجدَهُ تامًّا فدعا بالكردينال وقال له : ما معنى ما قلت . قال : أحببتُ أن أُهدىَ هذين الفصَّين فلم أرَ لذلك سبيلاً غير هذا فشكرتْهُ الملكةُ على ذلك وفى قلبها منه حزازاتٌ وقالت : أراها قد كلّفك أكثرَ من كلِّ العقدِ يا سيدى الكردينال . وهى بين ذلك تتبسَّمُ تبسُّمَ العارفِ بالأمر حتى كاد الكردينال يموتُ حياءً منها ثم سلّمتْ وخرجتْ تريدُ القصر وكان الرقص قد انتهى وهمَّ « دارتانيان »

---

(١) استطاعت الملكة أن تسترجع العقد من الدوق بكنجهام بمساعدة « درتنيان » وأصحابه الفرسان الثلاثة وقد لقوا فى ذلك سيلا من الأخطار تغلبوا عليها كلها ولما رأى الدوق أن العقد ينقصه فصان استصنع على جناح السرعة بدلها وبعث بالعقد إلى الملكة كاملا وكان الوسيط بين الملكة و « درتنيان » وصيفتها كنستنس حبيبة « درتنيان » .

بالخروج وإذا بيدٍ لمستْ كَتِفَهُ فالتفتَ فرأى امرأةً مقنّعةً فعرف من عينيها أنها حبيبتُهُ فتبعَها وسارتْ أمامه حتى بلغت القصرَ ودخلتْ فدخل وراءها حتى انتهتْ به إلى غرفةٍ مظلمةٍ فأودعته فيها وخرجت من بابٍ آخرَ فى جدارِها فأقام « دارتانيان » فى تلك الغرفةِ برهةً ثم سمع صوتاً يدنو منه ورأى يداً قد مُدَّتْ من فرجةِ الباب فعرف أنها يدُ الملكة فركعَ وقبّلَها فتركت فى يدِهِ خاتماً وارتفعتْ ثم أُقفلَ البابُ فأظلمت الغرفةُ ظلاماً شديداً فوضع « دارتانيان » الخاتَمَ فى إصبعهِ وأقام ينتظرُ حتى فُتِحَ البابُ ودخلت عليه « كونستانس » فصاحَ لرؤيتها من الفرحِ فأسكتته وقالت : اخرجْ من حيثُ دخلتَ : قال :ومتى أراك . قالت : تعرفُ ذلك من رقعةٍ تجدُها فى منزلكَ فاذهبْ الآن فخرج[1] .

د — أدب المسرح

حمدان

أسماء . عبد الرحمن (مختبئاً) . شمس . ثم حمدان[2]

شمس لقد أفزعتنى

حمدان إنَّ أمْرِى قد يقودُنى إلى شأنٍ أفزع منه أنا أيضاً فاسمعى . إن الرجل الذى سيأخذُكِ أميرٌ غنىٌّ شريفٌ قادرذو ألقابٍ يقدرأن يعيضَكِ عن شبابه

---

(١) « الفرسان الثلاثة » الجزء الأول . الفصل العشرون .

(٢) أسماء : خادمة شمس . عبد الرحمن : ملك الأندلس . شمس : أبنة الأمير الناصر . حمدان : الأمير الظافر بن المصطفى عاشق شمس ورئيس عصبة قطاع الطريق الثائرة .

والملك فى هذا المشهد مختبئٌ فى خزانة أدخلته فيها أسماء فقد جاء يفاجئ الفتى الذى قيل له إنه يزور شمساً فى غسق الظلام .

الزائلِ بكثير من المـال والحلى والحلل حتى تصبحى فى مقام الملكات .
أما أنا فرجلٌ فقيرٌ ليس لى إلا الغابات آوى إليها حافياً من يوم كنتُ صغيراً ولا حظَّ لى سوى الموتِ حتى لأراه بين السّيفِ والنطعِ يلاحظنى من حينما التفتُّ ولعلى أكون ذا سعدٍ وشرفٍ ولكن ذلك بعيدٌ عنى الآن . فأنا إذاً ليس لى من الدُّنيا سوى ما تَهَبُهُ لكلِّ حىٍّ من الهواء والماء والنور بل ليس لى من نصيب الناس سوى الهرب والوحدة والشَّقاء . فأيّنا تريدين . أتفضّلين الأمير أم تتبعيننى .

شمس أسيرُ وإياكَ

حمدان لا تُسرعِى فقولُكِ فى الحـال لا يُعْتَمَدْ(١)
لأنَّكِ أحبَبْتِنِى مُدَّةً ولم تعلَمِى من أنا فى البَلَدْ
فإنى رأيتُكِ فى نُزْهَةٍ فتَمَّ الودادُ لنـا وانعقَدْ
وكانت لواحِظُنا بيننـــــا رسولَ الغرامِ الذى لا يُرَدْ
فصِرْتُ أزورُكِ مستَخْفِياً أبُثُّكِ حُبًّا بقلبى اتَّقَـــدْ
وها قد عزمتِ على صُحْبَتى وأنْ تَبْتَغِى عاشقاً قد شَرَدْ(٢)
ولمْ تسأليني فهـــلْ تتبعين شريداً طريداً حليفَ الكَمَدْ
يفرُّ عن النَّاسِ مَعْ عصْبَةٍ ستُقْتَلُ فى اليومِ أو يومِ غَدْ
رجالٌ لهم مثلُ أســيافِهِمْ مضاء الأَكُفِّ وقلبُ الأَسَدْ

---

(١) كان نجيب الحداد يمزج فى رواياته المسرحية الشعر بالنثر وأغلب القصائد فى هذه الروايات كان بطل الرواية يغنيها .

(٢) عطف المصدر المؤول من « أن تبتغى » على المصدر الصريح « صحبتى » .
شرد : نفر . يقال شوارد اللغة : نوادرها وغرائبها .

يسوقُهُمُ الثَّأْرُ نَحْوَ المما تِ سَوْقَ الرِّياحِ بقايا الزَّبَدْ
أتأتينَ كى ترأسيهمْ معى فإنى رئيسُهُمُ المُعْتَمَدْ
وكلهُمُ قاطعٌ للطريـــق قد عاث فى الأرض حتى فَسَدْ
ألِفْتُهُمُ قبلَ سنِّ الرَّشا د والمرء يجرى على ما رَشَدْ
فكنتُ وليدًا بلا والدٍ يحنُّ على ضَعْفِ ذاكَ الوَلَدْ
إلى أن كبرتُ ولى عصبَةٌ يفوقونَ ألفَيْنِ عند العَدَدْ
رجالٌ قلوبُهُمُ كالحديـــد لا يخضعون لغيرِ الأَحَدْ(١)
وكلُّهُمُ رَهْنُ أمرى فلو نفختُ بذا البُوقِ أبغى المَدَدْ
لأبصرتِ حولىَ منهم ألوفًا يجودُونَ بالرُّوحِ قبل الجَسَدْ
أراكِ ارْتَجَفْتِ إذاً فانْظُرِى لنفسِكِ أمراً برأيٍ أَسَدّ
لأنَّكِ إن تتبعينى تكنْ أمامَكِ هاويةٌ لا تُسَـدّ
تسيرينَ بينَ وعورِ الجبالِ وسهلِ الرِّمالِ وحَرِّ الجَلَدْ(٢)
وحولكِ قومٌ تخالينَهُمْ من الجِنِّ فى بأسِهِمْ والجَلَدْ (٣)
كأنَّهُمُ فى ظلامِ الدُّجَى خيالاتُ رُعْبٍ لمن قد رَقَدْ
يخافونَ منْ قلعةٍ قد دَنَتْ ويخشَوْنَ من عاشقٍ قد رَصَدْ(٤)
ويحتسبون إذا أبصروا خيالاً بدا أو نسيماً وَرَدْ
ويستقبلونَ سهامَ العدوِّ إذا ما أتَتْهُمْ كَرَشِّ البَرَدْ (٥)
كذاكِ تكونينَ فى صحبَتى أليفةَ همٍّ وغمٍّ وكَدّ

---

(١) الأحد : الله الأحد . (٢) الجلد : الأرض الصلبة .
(٣) الجلد هنا : القوة والصبر والصلابة . (٤) رصد : رقب
(٥) البرد : حب الغمام المعهود وهو ماء الغمام يسقط جامداً لشدة البرد .

وقد تبلغينَ معى حيثُمَا ألاقى أبى بعدَ مَوْتِ النَّكَدْ(١)

شمس أسيرُ و إياكَ

حمدان إن الأميرَ غنىٌّ شريفٌ رفيعُ العَمَدْ(٢)

يُنيلُكِ مالاً كثيراً ومَجْدًا رفيعاً وعِزًّا طويلَ الأَمَدْ

شمس تمضى غداً وأتْبَعُكَ . حمدان لا تلمنى على جسارتى الغريبة . إنّنى لا أدرى إذا كنت شيطانى أو ملاكى ولكننى أعلم أننى عبْدَتُك ورهنُ أمرِك اذهبْ إلى حيثُ تريد فأنا على أثرِكَ وسواء بقيتَ أو رحلت فأنا لك و بين يديك ولا أدرى لماذا أفعلُ ذلك بل أرى أنّنى فى حاجةٍ لأن أراك ولأن أراك أيضاً ولأن أراك دائماً و إننى عندما لا أعودُ أسمعُ خَفْقَ أقدامِكَ وأنتَ ذاهبٌ أشعرُ بأنّ قلبى لم يَعُدْ يخفقُ وأنك إذ قد ذهبتَ عنى فقد ذهبتْ نفسى معك ولكن عندما أسمعُ تلك الأقدامَ المحبوبةَ آتيةً أتذكّرُ أنّنى أحيا وأنّ نفسى قد عادت إلىّ :

تغيبُ إذا ماغبتَ عَنِّىَ مهجتى وترجِعُ أشواقى إلىَّ وأحزانى

و إن عدتَ عادت بهجتى ومسرّتى فأنتَ إذاً روحى وراحى وريحانى

حمدان أنتِ لى جَنَّةٌ أحنُّ إليها وعلى قُرْبِهـا يطيبُ زمانى

---

(١) النكد : الشدة والعسر .

(٢) العمد : جمع عماد أو عمود وهو ما يسند به أو يقوم عليه البيت وغيره والعرب يكنون برفيع العماد عن الرجل المجيد الشريف وذلك لرفعة خباء الشريف منهم وسعة بيته وكانوا يمدحون طول العماد ويذمون قصرها فمن المديح قول الخنساء فى أخيها صخر :

رفيع العماد طويل النجا د ساد عشيرته أمردا

ومن ذم قصر العماد قول القائل :

إذا دخلوا بيوتهم أكبوا على الركبات من قصر العماد

طالَ صبرى من طول هذا التجافى يا إلهى متى يطولُ التَّدانى

شمس غداً عند نصفِ الليل تأتى بأصحابِكَ إلى تحت نافذتى فتجدنى كما تحبّ وعلامة ما بيننا أن تقرعَ كفّيك ثلاثَ مرّات[1] .

٥ — نجيب الحداد الشاعر

١ — الشاعر الاتباعى

١ — الغزل

وحى الصبى[2]

بدأ الشاعر حياته الشعرية محاكياً وهذه القصيدة التى تعد من الغزل الصناعى هى مما نظمه فى صباه على أن محاكاة الأقدمين فيها تنبسط أيضاً إلى جودة الأسلوب ومتانة الحبك وجمال الديباجة قال :

لِمَنْ طَلَلٌ بالرّقمتين نحيلُ عَفَتْ رَسْمَهُ الأرواحُ وهى قَبولُ[3]

وقفتُ عليه ناقتى وجميعُنا على البُعْدِ من طولِ الزّمانِ عليلُ

أسائِلُهُ عن أهلِهِ فيجيبُنى بهِ منزلٌ عافى الطلولِ مَحيلُ[4]

---

(١) المشهد الثانى من الفصل الأول من رواية « حمدان » .

(٢) ديوان « تذكار الصبا » ص ١٢

(٣) الرقمتان مثنى رقمة : الروضة وجانب الوادى أو مجتمع مائه . والرقمتان روضتان إحداهما قريب من البصرة والأخرى بنجد . والرقمتان روضتان بناحية الصمان وإياهما أراد زهير بقوله :

ودار لها بالرقمتين كأنهـا مراجيع وشم فى نواشر معصم

ومع اندثار آثار تلك الأماكن بقى الشعراء يذكرونها فى شعرهم . القبول : ريح الصبا .

(٤) عافى الطلول : دارس الطلول . المحيل : المتغير .

سقاكِ الحيا يا دارَ هندٍ على البلى وجادَكِ من قطرِ الغَمامِ سيولُ
وحيّا أُوَيْقاتاً لنا بكِ قد مضتْ وظلُّ إجتماعى فى رباكِ ظليلُ
وغصنُكِ من ماء السّحابِ منوَّرٌ وغصنىَ من ماء الشّبابِ يميلُ
وأيامُنا كالرَّوض باكرَهُ النَّدَى وهبّتْ عليهِ فى الصّباحِ بَليلُ(١)
إذ الشّملُ مأمونُ التفرّقِ والنَّوَى وإذْ نحنُ فى بُرْدِ الوصالِ نجولُ(٢)
تصبّحُنا سلمى بصبحِ جمالِها كما صبّحَتْنا فى الصبوح شمولُ(٣)
فتاةٌ لها فى كلِّ قلبٍ جراحةٌ وفى كلِّ نادٍ للغرامِ قتيلُ
سقيمةُ جفنِ الطرْفِ من غيرِ علّةٍ قريبةُ ملقى الحاجبَيْنِ كسولُ
رقيقةُ مضمومِ الوشاحِ نحصرُها ضعيفٌ وأمّا رِدْفُها فثقيلُ
لها مقلةُ الظّبْيِ الغريرِ وجيدُهُ سوى أنّها تدنو وذاك جَفولُ
وترنو إلى عشّاقِها وهْوَ نافرٌ ويقتلهُ القنّاصُ وهْى قَتُولُ(٤)

٢ ــ التأريخ الشعرى

تأريخ زفاف

قال يؤرخ زفاف السيدة مارى كريمة خليل باشا خياط إلى السيد جبرائيل بك طنبه :

يا حُسْنَ عُرْسٍ فى الأنامِ زها فكَسَا الزمانَ طِرازُهُ المُعْلَمْ(٥)

---

(١) باكره : أتاه بكرة أى باكراً . والبليل : الريح الباردة مع ندى .
(٢) النوى : الفراق .
(٣) صبحه : أتاه صباحاً . والصبوح : كل ما أكل أو شرب صباحاً . والشمول : الخمر .
(٤) قتول : على وزن فعول بمعنى فاعل .
(٥) الطراز المعلم : الثوب ذو رسم ورقم .

نَثَرَ السُّرُورَ على الوفودِ بغِـ فغدا الثّنـاء لأهلِهِ يُنظَمْ
من آل خيَّاطٍ كريمتُهُمْ أضحتْ تُزَفّ لماجدٍ أكرَمْ
هى مريمٌ بعثَ الإلٰه لهـا جبريلَ بالبُشْرى لما أنْعَمْ
أرِّخْ كجبريلٍ بشارَتَهُ قال السَّلامُ عليكِ يا مريمْ (١) *
١٨٩٧

٣ ــ المديح والرثاء

سلطان زنجبـــار

كان حمد بن ثوينى سلطان زنجبار قد أهدى إلى نجيب الحداد وسام الكوكب الدرى فشرع ينظم قصيدة يشكره فيها ويمدحه ثم فوجئ الشاعر بنبأ وفاة السلطان فأتم القصيدة بالرثاء وهذا من غريب ما اتفق للشعراء :

وردَتْ هديَّتُكَ التى فى طيِّها شَرَفٌ تفوقُ بهِ الكواكبَ أجْمعا
كالكوكبِ الدُّرِّىّ إلا أنَّهـا جاءَتْ بأبهَى من سَناهُ وأسْطَعا (٢)
أضحتْ عجيبةَ دهرِها فى صورةٍ شِمْنا بها شمسًا وكوكبَها معا (٣)
نورٌ على نورٍ يضىء وصورةٌ رسَمَتْ بأشرفِ كوكبٍ قد أطلعا
لابِدْعَ أن يُهدِى النجوم فصدرُهُ فَلَكٌ نراهُ لكلِّ شمسٍ مطلَعا
هو معقلُ اللاجى وغوثُ المحتمى وكفايةُ الرّاجى وعصمةُ من دَعا

---

* ديوان « تذكار الصبا » ص ٦٥

(١) وفق الشاعر فى نظم هذا التاريخ توفيقاً عجيباً فإنه تاريخ لطيف جميل حافل بالمعانى والرموز والإشارات .

(٢) الكوكب الدرى : الثاقب المضىء كالدر .

(٣) شمنا : نظرنا من شام يشيم البرق : نظر إليه أين يتجه وأين يمطر .

حَمد الثوينيُّ السَّعيدُ وحبَّذا شَرَفٌ يروقُكَ منظراً أو مسمَعا
نَسَبٌ إلى قحطانَ ينمَى أصلُهُ فى دوحِ مجدٍ قد زكا وتفرَّعا
وضَعَ العمامةَ فاعتلتْ شَرَفًا عَلَى تيجان كِسْرَى فى الملوكِ وتُبَّعا(١)
وتقلَّدَ السيفَ اليمانى فاغْتَدَى منهُ على سيفٍ أحَدَّ وأقطعا(٢)

* * *

بلغ المديحُ إلى هنا وتصدَّعَتْ أقلامُهُ وهَوَى الثَّنا فتصدَّعا
وغـدا يرجِّعُ بالرّثاء مردّداً من كان يهتفُ بالدُّعاء مرجّعا(٣)
للهِ يومٌ ما تبدَّى أبيضًا حتَّى غدا فى العينِ أدْكن أسْفَعا(٤)
وقصيدةٌ لم يستتمَّ مديحُها حتى استحالَ إلى الرّثاء مفجّعا
بينا اليراعُ له صريرٌ مطربٌ إذ صارَ وهْوَ أنينهُ متوجّعا
ذهبَ الذى خَفِىَ الزّمانُ بفضلهِ عنَّا فكان على أذاهُ بُرْقُعا
وغدا بلا نفعٍ ولا ضررٍ بهِ من كانَ يقدرُ أن يضرَّ وينْفَعا(٥)
وتقطّعتْ تلكَ العزائمُ بعد ما تركتْ بنانَ زمانِها متقطّعا(٦)

---

(١) التبع : لقب ملوك اليمن.
(٢) اليمانى : نسبة إلى اليمن.
(٣) رجع فى صوته : ردد وكرر . ورجع فى المصيبة : قال إنا لله وإنا إليه راجعون .
(٤) الأدكن : المائل لونه إلى السواد . والأسفع : الأسود اللون إلى حمرة .
(٥) مات سلطان زنجبار الممدوح المرثى فأصبح جثة هامدة لا يقدر أن يضر ولا ينفع كما مات قبله أبو شجاع فاتك وفيه قال المتنبى راثياً متحسراً :

برد حشاى إن استطعت بلفظة فلقد تضر إذا تشاء وتنفع

(٦) ديوان « تذكار الصبا » ص ٥٤ — ٥٥

٤ ــ الإخوانيات

أحمد شوقي[١]

« وقال مجيباً صديقه الشاعر المشهور أحمد بك شوقي على أرجوزة أرسلها إليه من باريس » :

حكايةُ المسكِ معَ الثّيابِ ... أغربُ ما مرَّ بهذا البابِ
إذْ أقبلَ المسكُ إلى الثوبِ النقِي ... وقالَ قد جئتُ بِنَشرى العَبِقِ[٢]
أهديكَ من عَرْفِ الذّكى ألوانا ... تعطّرُ الأذيالَ والأردانا[٣]
وتجْتَدِى منهنَّ نشراً طيّبـــا ... أطيب للناشِقِ من زهرِ الرُّبى[٤]
لكنْ على شرْطٍ بكتْمِ أمْرِى ... كى لا يذيعَ فى الأنامِ سرّى
لأنّنى من رغبَتى فى الكتْمِ ... وخوفِ أن يدرى الوُشاةُ باسمى
ظهرت ما بينَ الورَى فى لَقَبِ ... مخالفٍ كنيـــةَ أمّى وأبى
وفوقَ ذا فإنمـا الإخاء ... يزيدُ فى توثيقِـــهِ الخفاء
وإنّنى ناديتُ فيما قد عبَرْ ... يا سعدَ مَنْ صافَى وصُوفِى واسْتَتَرْ
فقال ذاكَ الثّوْبُ ما أنْصَفْتَنى ... بما منَ الكتمان قد كلّفْتَنى
فإنَّكَ المسكُ بطيبٍ يعلو ... والمسكُ مَنْ يحْمِلُهُ لا يخلو
وهَبْ كتمتُ اسْمًا عليك ذائعا ... فكيفَ أُخفِى عنكَ عِطراً ضائعا[٥]
ثُمَّ حرامٌ أن أكونَ وحْدِى ... مُتَمَتِّعاً منْكَ بهـــذا المجْدِ

---

(١) ديوان « تذكار الصبا » ص ٧٨ ــ ٧٩ .
(٢) النشر : الريح الطيبة أو الريح عموماً . العبق : الذى تفوح منه رائحة الطيب .
(٣) العرف : الرائحة مطلقاً وأكثر استعماله فى الطيبة . والذكى : الساطع الرائحة . والأردان جمع ردن : طرف الكم الواسع .
(٤) اجتدى : طلب الجدوى أى العطية .
(٥) العطر الضائع : المنتشر .

فأنتَ للمحبِّ عينُ الشَّرَفِ ومن يكونُ شَرَفاً لا يختفِي[١]
لكنْ إذا رجعتَ للواجبِ وما قضتْ من حفْظِ حقّ الطالبِ
فإنّنى أكتمُ ما استطعْتُ عسى أكونُ فيه قد نَفعْتُ
وإنّ قُرْبَ القلبِ فى البعادِ خيرٌ من القُرْبِ بلا وداد[٢]

ب — الشاعر الغنائى

١ — الشعر الوجدانى

صـــبابة

قال ينفس عن فؤاده ما يحمل من شوق وهوى وصبابة :

تُرَى عندكمْ للحبِّ مثلُ الذى عندى وهل وجْدُكمْ بى مثلما بكمُ وجْدى
وهل شوقُكمْ شوقى وهل فى جفونِكمْ كما فى جفونى من دموعٍ ومن سهْدِ
وهل تذكرونَ العهْدَ بينى و بينكمْ فإن فؤادِى دائماً ذاكرُ العَهْدِ

---

(١) الشرف : المجد . والشرف من الأرض : المكان المرتفع العالى .

(٢) تضمين للمثل الفرنسى الذى يقول : « البعيد عن العين بعيد عن القلب : Loin des yeux loin du cœur » أى أن الإنسان ينسى البعيد عن النواظر غير أن الشاعر قد تصرف بالمثل وطوعه للمعنى الذى يقصده .

ومن الأمثال الفرنسية التى تسربت إلى الشعر العربى الحديث المثل الذى يقول : « آه لو عرف الشباب وقدر المشيب Si jeunesse savait, si vieillesse pouvait »

نظمه إسمعيل صبرى فقال :

أواه لو عقل الشبا ب وآه لو قدر المشيب

وضمن خليل مطران هذا البيت مرثية لإسمعيل صبرى فقال :

الضارب الأمثال لي س له بروعتها ضريب
هل فى الجديد كقوله الـ ـمأثور والمعنى جليب
آهان لو عرف الشبا ب وآه لو قدر المشيب

استبدل مطران كلمة آهان بكلمة أواه لأن أواه معناها التأوه وليست من كلمات الندبة مثل آه .

رجعتُ إلى سُبْلِ الهوَى مذ رأيتُكم ... ولم أدرِ هل فيهِ ضلالىَ أمْ رشْدِى
وأهديتُكمْ قلبى على يَدِ أدْمُعٍ ... هى الرُّسْلُ للعشّاقِ تحملُ ماتُهْدِى
فلا ترجِعُوا ما قد أخـذتُمْ فإنّهُ ... هديّةُ حبٍّ غيرُ مقبولةِ الرّدِّ
ولا تجزَعُوا من نارِهِ إنّ نارَهُ ... سلامٌ وإن كانتْ مؤجّجَةَ الوَقْدِ(١)
فيا مهْجَتى كونى لديهمْ قريرةً ... فقد زالَ ما تشكينَهُ من جَوَى البُعْدِ
ويا جسدى قد نال قلبُكَ ما اشْتَهى ... بِهِمْ فاستَرِحْ منهُ ومن ألَمِ الصدِّ
ويا قلبُ إن رُمْتَ السعـادةَ فيهمِ ... فمُتْ إنّ موتَ الحبِّ ضَرْبٌ من السَّعْدِ
خليلَىَّ ما للحبِّ يستعبدُ الفتى ... وما للفتى فى الحبِّ أطوعُ من عبْدِ
وما للهوَى يفنى فؤادَ أخى الهوى ... ولو كان ذاكَ القلبُ من حَجَرٍ صَلْدِ
تبـارَكَ خلّاقُ المحاسنِ إنّهُ ... ينالُ بها ثأرَ الظِّباءِ من الأُسْدِ
يقلّدُها أجفانَهـا ولحاظَهـا ... فتسطو علينا بالحسام وبالغمْدِ
سقيمةُ جفْنٍ راح قلبى يعودُها ... ولم أدْرِ أنّ السُّقْمَ من جفنِها يُعدى(٢)
تتيهُ دلالاً ثمّ يغلبُها الحيـا ... فيبـدو كحبّاتِ الغمامِ على الوَرْدِ
يميلُ فؤادى من تثنّى قوامِها ... وتندَى جفونى من ندَى ذلك الخدِّ
فيا حسْنَ ذاكَ الغصنِ يثْنى ويلتوى ... ويا طيبَ ذاكَ الوردِ يندى ويستندِى
عرفتُ الهوَى من يومِ باشَرَنى الهوى ... كأنّا لدى الميلادِ كُنّا على وَعْدِ
فؤادى على مَهْدِ الهوَى وفؤادُها ... معاً غيرَ أنّا ما التقَيْنا على مَهْدِ
ولم أنْسَ ليـلاً ضمّنَا فيهِ مجلسٌ ... رقيقُ حواشى الأنْسِ مؤتلِفُ الوَفْدِ
وقد مازجَتْ كأسَ الطِلاخمرةُ الهوَى ... وطابتْ بلحنِ العودِ رائحةُ النَّدِّ

---

(١) مؤججة : ملتهبة. (٢) من ألطف ما جاء فى وصف العدوى وحسن تعليلها قول بشار :

لمست بكفى كفه أبتغى الغنى ... فلم أدر أن الجود من كفه يعدى

ودارتْ كؤوسٌ من جَنى الكرْمِ مَزّةٌ ... فلم يكُ أحلى من جَناها جَنى الشَّهْدِ (١)

يرصّعُها نظمُ الحبابِ بلؤلؤٍ ... كما دارَ حولَ الجيدِ منتظمُ العِقْدِ

وباتَ فؤادى فى الهوَى ينشدُ الصّبا ... وباتَ مغنّينا يغنّى على الرَّصْدِ (٢)

ولا رُسْلَ إلا اللحظُ بينى وبينَها ... ونحنُ سكوتٌ لا نُعيدُ ولا نُبْدِى

كلامٌ بلا نُطْقٍ وعهدٌ بلا يدٍ ... وسمْعٌ بلا أُذْنٍ وشوقٌ بلا بُعْدِ

سطورُ هوًى من ثغرِ حوّاءَ أُنْزِلَتْ ... على وجْنَةِ التُّفّاحِ فى جنّةِ الخُلْدِ

ولمّا دعاها آدمٌ هزّهُ الهَوَى ... وأنْشَدَ هذى إرْثُ نِسْلِىَ مِنْ بَعْدِى

تراثٌ تولّاه الكرامُ من الورى ... فما حرمتْ منْهُ سوى مهجةِ الوَغْدِ

وقد قُسِمَتْ بينَ القلوبِ سهامُهُ ... فمن كلِّ ذى لحْظٍ إلى كلِّ ذى كَبْدِ

فيا لكَ من ليلٍ محوت ظلامَهُ ... بظلمةِ العينَيْنِ عادلةِ القَدِّ

سقتنى بعينيها الهوَى وسقيتُها ... ولم أدْرِ أنّى قد سكرتُ بها وحدِى

إلى أن بدتْ كفُّ الصّباحِ برايةٍ ... تلوحُ على جُنْدٍ من الليلِ مسوَدِّ

وغابتْ مصابيحُ النجومِ كأنّما ... طفاها نسيمُ الفجرِ من فَمِهِ الوَرْدِى (٣)

فقمتُ وقد سلّمْتُ للحبِّ مهجتى ... وقضّيتُ فى شَرْعِ الهوَى واجبَ الودِّ

وقاسمتُ مَنْ أهوَى فؤادِىَ والهوَى ... فكان فؤادِى عندَها والهوى عندى (٤)

---

(١) المز : الشىء الفاضل . والمزة : الخمر اللذيذة الطعم .

(٢) الصبا والرصد : لحنان من ألحان الموسيقى .

(٣) لعل الشاعر تأثر أبا تمام إذ يقول :

كأن نجوم الليل فى أخرياته ... عيون له نادى بتغميضها الفجر

ولكن الحداد جود وأبدع فهذا الفم الوردى للفجر صورة من الصور المثيرة المرقصة .

(٤) ديوان « تذكار الصبا » ص ٢٩ — ٣١

لهو وعبث

وهذه قصيدة يرضى عن شاعريتها محبو الشعر الملهم وقادروه ويرضى عن نشر مطاويها أنصار الكشف والعلانية . قال :

لم أنسَ حين قَدَدْتُ جيبَ قميصها ... عنها وذيلُ الليلِ يجمعُنا معاً
فكأنّني مزّقتُ جلبابَ الدُّجى ... عن نورِ بدرٍ بالغمامِ تلفّعا[1]
فرأيتُ أبدعَ منظرٍ قد سُطِّرَتْ ... فيه المحاسنُ جلَّ مَنْ قد أبْدَعا
جسمٌ كتمثالِ الرّخامِ أدقّ فى ... تكوينِهِ فَطِنٌ أجادَ وأبْدَعا
هذا وقد صَبغَ الحياء جبينَها ... حتى ظننتُ بياضَه متبرقِعا
وحنَتْ علىَّ حُنُوَّ أمٍّ مرضعٍ ... مع أنّها بكرٌ ولم تكُ مرضِعا
وثنت على عنقى يديها خجلةً ... منّى لتحجبَ ناظرى وتمنّعا
فرأيتُ أحسنَ هاربٍ منّى إلى ... صدرى وأجملَ خائفٍ قد رُوِّعا
ورنَتْ إلىَّ فكنتُ طوعَ بنانِها ... حبًّا وكانتْ من بَنانى أطوَعا
وأجبْتُها وجبينُها متصبّبٌ ... عَرَقاً حكى درًّا عليهِ ترصَّعا
لا تسترى هذا الجمالَ بثوبهِ ... فالبدْرُ ليسَ يروقُ حتى يطلُعا
والشمسُ ليس يلوحُ رونق نُورِها ... إلا إذا انجابَ الغمامُ وأقْشعا
والدُّمْيَةُ الحسناء لا تحلو لنا ... حتى يزاحَ ستارُها أو يُنزَعا
لا يوقَدُ المصباحُ تحتَ غشاوةٍ ... بل ينجلى حتى ينيرَ ويسْطعا
حتى انثنتْ فجعلتُ زندى حولَها ... كنطاقِها وجعلتُ صدرى مضجَعا
وضممتُها حتى وثقتُ بأننا ... جسمان ضمّهما الهوى فتجمَّعا[2]

---

(١) تلفع به : تغطى به .

(٢) بيت فريد جميل حذا فيه قائله حذو ابن الرومى الذى يقول :

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... إليها وهل بعد العناق تدان

لا شيءَ يُبْعِدُ صدرَها عنى سوى ... حقَّينِ من عاجٍ عليه تربّعا[١]

نهْدانِ خَصَّهُما الغرامُ بنفسهِ ... عرشاً فسادَ عليهما وترفّعا

فلو اجْتَلى أهلُ الغرامِ سَناهما ... لغَدَوْا جميعاً ساجدينَ ورُكَّعا

هذا وقد مزجتْ بريقِ ريقها ... كالماء يُمْزَجُ بالرحيقِ مُشَعْشَعا[٢]

وتناثرتْ منها غدائرُها على ... عنقى فكانتْ عقدىَ المترصّعا

وتلهَّبتْ وجناتُها كالنارِ من ... فرْط الحياء فأوشكتْ أن تلمعا

وجعلتُ أخمدُها بتقبيلى فما ... تزدادُ إلا حمرةً وتوسُّعا

والليلُ يسبلُ سترَهُ من حولِنا ... فنزيدُ من طيبِ العناقِ تمتعا

والحبُّ يملأُ من بهاء جمالِها ... عينى ويملأُ من هَواها الأضلُعا

حتى رأيتُ الليلَ مالَ بجنحهِ ... ورأيتُ وفْدَ الصّبحِ يقبل مسرعا

فنهضتُ أستُرها وتستُرُنى على ... خوفِ الرّقيبِ وحقُّنا أن نجزَعا

وجعلتُ لا ألتذُّ موضع صبْوةٍ ... إلا ذكرتُ لديهِ ذاكَ الموضِعا[٣]

---

(١) هذان الحقان من العاج كم أوحيا للشعراء فقد قال فيهما شاعر عربى قديم :

فى صدرها حقان خلّهما ... كافورتين علاهما ند

وقال الشيخ إسكندر العازار فى ذلك :

حقاق من العاج قد ركبت ... على صحن صدر من المرمر

خشين السقوط فأثبتنها ... بشبه مسامير من عنبر

وقال خليل مطران :

كحقى لجين بقفلى عقيق ... وكنزين فى رصد مرصد

وقال شفيق المعلوف :

هل النهود البيض ألصقنها ... من نتف الغمام فوق الصدور

والنقط الحمراء فى وسطها ... أهى من الفجر بقيات نور

أم بقع منذ عناق الهوى ... تؤج فيها جمرات الثغور

(٢) الرحيق : الخمر . شعشع الشراب : مزجه بالماء .

(٣) ديوان « تذكار الصبا » ص ٧٧ — ٧٨

شكوى من الدهر والناس

لنجيب الحداد شكاوى من الدهر والناس مبثوثة فى غير قصيدة من قصائده وهكذا الخلق المثالى يثيره ما يلقى فى الدهر من غدر وإجحاف وما يجده فى الناس من مثالب وقبائح. قال من قصيدة :

تخالفَ أبناءُ الزّمانِ فمُظْهِرٌ ... خلافَ الذى يُخفِى وآخرُ يكتُمُ
ولم يبْقَ إلّا من يريبُك قولُهُ ... وتزدادُ فيه ريبةً حين يُقْسِمُ
وتسمَعُ منهُ غيرَ ما فى فؤادِهِ ... وشتّانَ ما قلبُ الفتى والتكلُّمُ
عجبتُ لنفسى كيفَ لا تسأمُ البقَا ... وبعضُ الذى تلقاهُ للنّفْسِ يُسْئِمُ[1]

نفثة مصدور

وهى من أواخر ما نظمه أيام اعتلاله :

أحْمَدَ الدَّهْرُ مِنْ فؤادِىَ جَمْرا ... وألانَ الزمانُ منّى صخْرا
وتجنَّتْ بىَ الخطوبُ فأَسْمَتْـــنِي معانى الـكلامِ نظماً ونَثْرا
وأرَتْنِي الأيّامُ من أوْجُهِ الدَّهْـــرِ حروفاً عواطِلاً ليسَ تُقْرَا
كلّما قلتُ قد ظفرتُ بمعنًى ... ضربَتْ دونه على السَّطْرِ سَطْرا
قد تَوَلَّى الشّبابُ إلا قليلاً ... ومضَى طِيبُهُ الشهِىُّ ومَرّا
كانَ لى فى الصِّبَى صُبابةُ شعرٍ ... صَبَّها صائبُ الصّبابةِ هَدْرا[2]
ذهبتْ والفؤادُ يتبَعُ إثراً ... من خُطاها والعمرُ يتبَعُ إثْرا

(١) ديوان « تذكار الصبا » ص ١٤ — ١٥
(٢) الصَّبابة : الشوق والولع الشديد . والصُّبابة : بقية الماء ونحوه فى الإناء .

إنَّ قلباً معذَّباً نثرَتْهُ أسهُمُ الدَّهْرِ كيف ينظمُ شِعْرا
لم تبقِّ لىَ المصائبُ إلا قلماً كسْرُهُ أحقُّ وأحرى[١]
كنتُ أرجوهُ للخطوبِ فأضحى لىَ أمضى سهامِها حين يُبْرَى[٢]
وغدا حبْرُهُ يخطّ سطوراً تجْتَليها عينى دماً حُمْرا
ما يُرَجِّيهِ كاتبٌ من يراعٍ لم يكنْ فى الذى يُرَجِّيهِ حُرّا
فى إسارٍ يكاد يكسرُهُ القَيْـــدُ ولا يستطيعُ للقيدِ كَسْرا
يسفكُ الحبرَ مكرَهاً وَهْوَ لو كا نَ طليقاً لكانَ يسبكُ تِبْرا
أعقبتْنِى صبراً به بعضُ آما ل وإنَّ الآمالَ تعقبُ صَبْرا[٣]

٢ — الشعر القصصى

شهـــيدة الحب

فى ديوان الشاعر أمثلة كثيرة للشعر القصصى فقد كان القصص يجرى على سنان قلمه نثراً وشعراً وهذا مثال من أمثلة الشعر القصصى قال :

هيفاء زَيَّنَ خَدَّها وَرْدُ الصِّبَى فتمايلتْ كالغصنِ حرَّكَهُ الصَّبا[٤]
حسناء طاهِرَةٌ كزهرةِ روضةٍ ما مَسَّها غيرُ النسائم والنَّدى
بيضاء يحْدِقُ شعرُها بجبينِها فتريكَ عينَ الصُّبْحِ فى وجهِ الدُّجَى
نشأتْ وحيدةَ أهلِها فى قريةٍ كالزَّهْرِ ينشَأُ زاهِياً بين الرُّبَى
لم تدْرِ غيرَ الحقلِ والنَّبْتِ الذى يزهو عليهِ ووردِهِ الغضِّ الجَنَى[٥]

---

(١) لا بد من إشباع القاف فى كلمة تبق حتى يستقيم الوزن وهو مكروه .
(٢) برى السهم والقلم : نحته فانبرى .
(٣) ديوان « تذكار الصبا » ص ٦٣
(٤) الصبى : الشباب والشوق . والصبا : ريح مهبها جهة الشرق .
(٥) الغض : النضير . والجنى : ما يجنى ويقطف .

والشمسُ غاربةٌ تودِّعُها متى ... غابتْ وتلقاهَا متى لاحَ الضُّحَى
والبدرُ تنظرُهُ فتحسبُ رسْمَها ... فيه ويحسبُ رسمَهُ فيها بدا(١)
وقفتْ على بابِ الخباء عشيَّةً ... كالشّمسِ قد وقفتْ على أفقِ الضِّيا(٢)
وجَرَى النّسيمُ بها يلاعِبُ شعْرَها ... حيناً فيخفقُ مثلما خَفَقَ اللِّوا
وإذا بوقْعِ حوافرٍ فى قُرْبِها ... وفتًى على سَرْجِ الجوادِ قد استَوَى
ذو قامةٍ هيفاء تُزْرِى بالقنا ... ولواحظٍ نجلاء تُزْرِى بالظُّبَى(٣)
وقد انْتَضَى سيفَ القتالِ وجفنُهُ ... أمضى وأفتكُ مقتلاً مما انْتَضَى
وعلى ملابسِهِ الحلىُّ لوامعاً ... كالبدرِ فى زُهْرِ النُّجومِ قد انْجَلَى(٤)
وافَى فحيَّا باسِمًا متلطِّفاً ... ودَنَا لها مستَسْقِياً يشكو الظَّما(٥)
فمضتْ فجاءتْهُ بكأسٍ وانْثَنَتْ ... ترنُو لطلعَتِهِ كما ترنُو المَهَى(٦)
ترنو إليه وهْوَ يشرَبُ باسماً ... حتى ارْتَوَى واللحظُ منها ما ارْتَوَى
يَحْسُو الشَّرابَ وتحْتَسى من حُسْنِهِ ... خمْراً بها قلبُ الفتاةِ قد اكتوى(٧)

---

(١) فى هذا البيت إلماع إلى البيتين المشهورين :

رأت قمر السماء فذكرتنى ... ليالى وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن ... رأيت بعينها ورأت بعينى

(٢) الخباء : ما يعمل من وبر أو صوف للسكن .

(٣) هيفاء : مؤنث أهيف : الرقيق الخصر . أزرى به : استخف . القنا : العصا أو الرمح أو عوده . نجلاء : مؤنث أنجل : الواسع الطويل العريض .

(٤) زهر : جمع أزهر : النير المشرق . والأزهران : الشمس والقمر .

(٥) مستسقياً : طالباً السقى والشراب . ومن معانى استفعل : طلب الشىء كاستغفر : طلب الغفران .

(٦) رنا إليه وله : أدام النظر إليه بسكون الطرف . المهى : جمع مهاة : البقرة الوحشية يشبه بها فى حسن العينين وهذا كثير فى شعر العرب كقول على بن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

(٧) حسا واحتسى : شرب شيئاً بعد شىء . وحسا الطائر الماء : تناوله بمنقاره .

حتَّى اكْتَفَى فأعادَ كأسَ شرابِهِ مملوءةً بعـد المياهِ من الثَّنا
ومَضَى فودَّعَها وأَوْدَعَ قلبَها بَدَلاً لبَرْدِ شرابِها حَرَّ الجَوَى (١)
دخَلَ الهَوَى قلباً خَلِيًّا لم يكَدْ يدرِى الهَوَى حتى تملَّكَهُ الهوى (٢)
فقضَتْ سوادَ ظلامِها فى ظلمةٍ لليأسِ يوشكُ لا يضىء بها الرَّجا
يهفو النَّعاسُ بجَفْنِها فيردُّهُ مِمَّنْ تملَّكها خيالٌ قد سَرَى (٣)
حتَّى إذا انجابَ الظلامُ وأشرقَتْ شمسُ الضُّحَى تزهو على أفقِ السَّما
وافَى رسولٌ من حبيبِ فؤادِها بهديةٍ تُهْدَى لربَّاتِ البَها
مرآةُ وجهٍ قدْ تكلَّلَ حَرْفُها من فضَّةٍ بيضاء زادَتْها صَفا
فَدَنا وقالَ هديَّةٌ من سيّدى تُهْدَى لسـيّدتى وسَلَّمَ وانْثَنَى
كانتْ جزاءً للشَّرابِ ولَيْتَ لم يكنِ الشَّرابُ ولم يكنْ هذا الجزَا
فلقد سَبَى قلْبَ الفتاةِ صَبابةً وهَوًى لِذَيَّاكَ الجميلِ وما دَرَى (٤)
وجرتْ مدامِعُها بِذَوْبِ فؤادِها شوقاً إليهِ وليسَ يعلَمُ ما جَرَى
كالقوْسِ أطلقَ سهمها فجَنَى ولا لومٌ عليهِ فليسَ يَدْرِى ما جَنى
ترنو إلى مرآتِهِ فترَى بها تَذكارَ طلعتِهِ وطلعتها سوا
فتزيدُ بالتَّذكارِ نار غرامِها وتزيدها نارُ الغرامِ من الضَّنى (٥)
ما زَالَ يُذْكِيها الهوى ويُذيبُها حتَّى غَدَتْ شَبَحاً أرَقَّ من الهَوا

---

(١) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والجوى : العاشق . قال المتنبى :
ما لنا كلنا جو يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول

(٢) إشارة إلى قول يزيد بن الطثرية :
أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

(٣) سرى : سار ليلا .
(٤) سبى : أسر
(٥) الضنى : المرض والهزال وسوء الحال .

وهَوَتْ على مَهْدِ السَّقامِ عليلةً ... تشكو الذى يبدو وتكتمُ ما اخْتَفَى
حارَ الجميعُ بها فلم يدرُوا لها ... داءً تكابِدُهُ ولم يدرُوا الدَّوا (١)
وأقامَ يندبُ والداها حسْرةً ... وأسًى وما يُجْدِى التحسُّرُ والأسَى
والبنتُ كاتِمَةٌ حقيقةَ دائِها ... وتقولُ لا أدرِى فذا حكمُ القَضَا
حتى إذا بَسَطَ المماتُ جَناحَهُ ... من فوقِها ودَنا ينازِعُها البَقا
والنَّزْعُ يجذبُ نفسَها من صدرِها ... فتردُّهُ عنها الغضاضةُ والصِّبى (٢)
وذوو قرابَتِها حوالَيْها وقد ... عجزُوا فليسَ سِوَى التأسُّفِ والبُكا
والشَّمسُ قد غابتْ تودِّعُها كما ... كانتْ ولكن لا تقول إلى اللقا
سمعتْ بقُرْبِ البابِ وقْعَ حوافرٍ ... ورأتْ حبيبَ فؤادِها منهُ أتى
وافَى ولكن بعد ما انقَطَعَ الرَّجا ... ووَفَى ولكن حينَ لا يُجدِى الوَفا (٣)
ودَنا إليها وهْو لا يدرِى الذى ... أجراهُ سيفُ لحاظِهِ فيما مَضَى
وحَنَا عليها وهْوَ يسألُ جازِعاً ... ويقولُ كيف أصابها سَهْمُ الرَّدَى (٤)
فَرَنَتْ إليه بمُقْلَةٍ فتَّانَةٍ ... وكَسَا اصفرارَ جبينِها وَرْدُ الحيا
وتنهَّدَتْ أسفاً وقالتْ إنَّ بى ... سَهْماً أصابَ القلبَ من عَيْنَىْ فتى
هذا هو الداء الذى أقضِى به ... حُبًّا وكم من عاشِقٍ قبلى قَضَى

---

(١) لأبى نواس فى هذا المعنى بيت جميل فى محبوبته «دنانير» يقول فيه :

يا ويح أهلى أبلى بين أعينهم ... على الفراش ولا يدرون ما دائى

وشطره شوقى فقال :

يا ويح أهلى أبلى بين أعينهم ... ويدرج الموت فى جسمى وأعضائى
وينظرون بجنب لا هدوء له ... على الفراش ولا يدرون ما دائى

(٢) الغضاضة : النضارة . (٣) يذكرنا هذا الوصال المتأخر بقول من قال :

دنت وظلال الموت بينى وبينها ... وأدلت بوصل حين لا ينفع الوصل

(٤) حنا عليه : عكف ومال .

فأجابَ من هذا الفتى فتناولَتْ مرآتَهُ بيدٍ يصافِحُها الفَنَا
وَرنَتْ وقالتْ عندما يبدو الضُّحَى وتكونُ روحى فارقتْ هذا الورَى
إن شئتَ تعرفُ مَنْ قضيتُ بحبِّهِ فانظرْ إلى المرآةِ تلقاهُ هنا[1]

واقعة حال

شعر فى قصص ودعابة اختار له الشاعر ثوب الموشح فبدا يتيه فى أغصانه وأسماطه قال :

نحنُ أعضاء لجنّةِ الخَمْرِ بحضور الكؤوسْ
قد حضرنا بالنّاى والزَّمْرِ لانتخاب الرَّئيسْ[2]
مُقسِمينَ اليمينَ بالسُّكرِ وطِلاَ الخَنْدَريسْ[3]
إننا خاضعونَ للأمْرِ مُطْرِقُـــونَ الرُّؤُوسْ

• • •

والرئيسُ الذى انتَخَبْناهُ لارْتشافِ العُقارْ[4]
واعتَمَدْناهُ وارْتَضَيْناهُ لكؤوسٍ تُدَارْ
وإماماً لنـا جَعلْناهُ حـــينَ قرَّ القَرارْ
هو « عبَّاد » صاحبُ الأمْرِ وأميرُ الجُلُوسْ[5]

---

(١) ديوان « تذكار الصبا » ص ٤١ — ٤٤

(٢) الناى : آلة من آلات الطرب ينفخ فيها والكلمة من الدخيل . الزمر : الصوت والمقصود به هنا الزمارة أو المزمار .

(٣) الخندريس : الخمر القديمة .

(٤) ارتشف الماء : بالغ فى مصه .

(٥) جلوس : جمع جالس .

* * *

أمْهَرُ الشّاربينَ فى النَّاسِ ورفيـــقُ المُدامْ
ونديمُ « الخمسينَ » والكاسِ فى الضُّحى والسَّلامْ (١)
وإمامٌ لنـا على الرَّاسِ وَهْـوَ نِعْمَ الإمامْ
اِنْتَخَبْناهُ لَيْلَةَ البَدْرِ فى اجتماعٍ أنيسْ

* * *

ذاكَ فى جلسةٍ عَقَدْناها بحضـورِ الصِّحـــابْ
وانْتِخاباتُهُمْ جَمَعْنـــاها فى كُؤُوسِ الشرابْ
فوَجَدْنا اتّفـاقَ معنـاها بانْتِخـــاب الجنـابْ
فجعلناه زينَةَ الصَّـــدْرِ وأَرَحْنـــا النُّفُوسْ

* * *

تَمَّ هذا القَرارُ تحريرا قَبْلَ يومِ الأحَـدْ
ولقـد قَرَّروهُ تقريرا من سُكارَى البَلَدْ
إنَّ « عبَّاد » كان سِكّيرا لم يَفُقْهُ أَحَـدْ
فإذا ماتَ ليس من عِطْرِ بعد هَذى العَرُوسْ (٢)

---

(١) زجاجة معروفة لبعض أنواع الكحول (هذه الحاشية وردت فى ص٨٨ من الديوان) .

(٢) من أمثال العرب : « لا عطر بعد عروس » قالت هذا أسماء بنت عبد الله العذرية فقد كان زوجها واسمه عروس مات عنها وتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم فلما أراد أن يظعن بها قالت : لو أذنت لى رثيت ابن عمى فقال افعلى فرثته بكلام عرف منه الزوج أنها تعرض به فلما رحل بها قال ضمى إليك عطرك وقد نظر إلى قشوة عطرها مطروحة فقالت : « لا عطر بعد عروس » فذهبت مثلا .

• • •

سَجَّلُوا ذا القرارَ تسجيلا فى بُطُـــونِ الوَرَقْ
واقرَأُوهُ لحـــنًا وترتيلا فِى نوادى العَرَقْ(١)
وكذا ذَيِّلوهُ تذييـــلا بأســـامِى الرِّفَقْ(٢)
تَمَّ هذا القرارُ فى مِصْرِ فى مســـاء الخمـــيس

• • •

سَنَةَ السَّبْعِ بعد تِسْعينا وثمانِى مِئِـــينْ
بعدَ ألفٍ من عهْدِ فادِينا ســـيِّدِ الشّـــارِبينْ(٣)
الذى حلَّلَ الطـــلا دِينا فى الـكتاب المبينْ
فاستعَضْنا بهـا عن الحِبْرِ وخَتَمْنـا الطُّرُوسْ(٤)

---

(١) جاء فى «لغة الجرائد» للشيخ إبرهيم اليازجى عن كلمة «النوادى» ما يلى : «ويقولون قد شاع هذا الخبر فى النوادى يريدون جمع النادى وهو مع كونه القياس غير مستعمل وإنما يقال فى جمعه الأندية وهو فى الأصل جمع ندى بمعنى النادى استغنوا به عن جمع النادى كما استغنوا بالأحاديث الذى هو جمع الأحدوثة عن جمع الحديث» .
وعلى هذا استعمل الحداد الجمع القياسى وهو غير مستعمل ونحا نحوه البارودى حيث يقول :

أنا مصدر الكلم البوادى بين المحاضر والنوادى
أنا فارس أنا شاعر فى كل ملحمة وناد

(٢) الرفق : جمع رفقة : جماعة المرافقين .
(٣) يراد من قوله سيد الشاربين أن السيد المسيح شرب الخمر فى قانا الجليل وفى البيت التالى إشارة إلى قول الكتاب المقدس قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان (هذه الحاشية وردت فى ص ٨٩ من الديوان) .
(٤) ديوان «تذكار الصبا» ص ٨٨ — ٨٩ .

٣ — الشعر التصويرى

وصف القمر

من أشهر قصائد الحداد فى الوصف هذه القصيدة التى أجاد فيها وأبدع وتغلغل فيها إلى وصف الظواهر والخواطر قال :

إذا مُلِئَتْ من البَدْر العيونُ ... وهاجتْ منهُ أو سكنتْ شُجُونُ[١]

وأقْبَلَ فى منازِلِهِ انْتِقالاً ... يحفُّ بهِ من الليلِ السُّكونُ

رأيتَ بدائعَ الأفلاكِ تُجْلَى ... بما يَجْلُو بهِ الهَمَّ الحزينُ

وسارَ البَدْرُ يسبحُ فى سماء ... عليها من كواكِبها سَفِينُ[٢]

تمرُّ بهِ السّحائبُ مُسْرِعاتٍ ... فيخفَى تحتَهُنَّ ويستبينُ

كخَوْدٍ أقبلتْ فى الرَّوْضِ تَسْعَى ... فتظهرُ ثم تحجُبها الغصونُ[٣]

تقابلُ وجههُ فيلوحُ فيهِ ... لصورةِ وجهك الرَّسْمُ المبينُ

فتحسبُ منهُ أنَّ هناكَ ماءً ... ولا ماءٌ هناكَ ولا عيونُ

ولا نَبْتٌ عليهِ ولا حَياةٌ ... ولا نَسَمٌ ولا غيثٌ هَتُونُ[٤]

جنازةُ مَيِّتٍ لا نعشَ فيها ... ولا أيدٍ حملنَ ولا أنينُ

قرينُ الأرض ليس يغيبُ عنها ... ولكنْ لا يواصِلُها القرينُ[٥]

---

(١) تفنن كثير من الشعراء فى وصف القمر وتعد هذه القصيدة من أبدع ما جادت به القرائح فى الشعر الحديث وهناك قصائد أخرى جيدة جميلة نذكر منها قصيدة أو موشحة لخير الدين الزركلى مطلعها :

لم تبق أيدى الحادثات ولم تذر ... فعلام تضحك فى سمائك يا قمر

وقصيدة لمحمود غنيم وأخرى لخالد الشواف (طالع هذه القصائد فى المجلد الأول من مجلة « الكتاب » جزء مارس سنة ١٩٤٦)

(٢) سفين وسفن وسفائن جمع سفينة . (٣) الخود : الصبية .

(٤) النيث الهتون : المطر المتتابع . (٥) القرين : الزوج . العشير .

يدورُ بها ولكنْ حينَ يَدْنُو ... يفـرُّ فلا يجيبُ ولا يلينُ
كمعشوقٍ يداعبُ ذاتَ خِدْرٍ ... فلا يُعطِي الوصالَ ولا يبينُ(١)
فكم بسَـمَتْ لمرآهُ ثغورٌ ... وكم سالتْ لمرآهُ شؤونُ(٢)
وكم ذكَرَ المحبُّ به حبيباً ... وكم نسِيَ الخَدِينَ به خدينُ(٣)
وكم نَظَرَ المشُوْقُ به جمالاً ... وأبْصَرَ وجهَ درهمِهِ الضَّنينُ
وكم شَـكَتِ العيونُ إليه وَجْداً ... إلى أن أصبحَتْ شَكْرَى العيونُ(٤)
تحدّقُ فيه لم تطرفْ بجَفْنٍ ... كأنَّ العينَ ليس لها جفونُ(٥)
وتصفرُّ النجـومُ إذا تبدَّى ... كما يصفرُّ من حَسَدٍ جبينُ
يسيرُ فتختفي من جانَبَيْهِ ... نوافرَ وهو مجتازٌ رزينُ(٦)
كما طلَعَ المليكُ عليه تاجٌ ... فأطرقتِ الوجوهُ له تدينُ(٧)
كأنَّ كواكبَ الأفْلاكِ دُرٌّ ... تبَدَّى بينها حَجَرٌ ثمينُ
لهُ من شمْسِنا جزءٌ منيرٌ ... وليسَ لنا بهِ جزءٌ سخينُ
حَبَتْهُ مع الضِّيا حَرًّا فأعطى ... ضياءً نِعْمَ ما أدَّى الخؤونُ(٨)
فيا شبهَ الحبيبِ حويتَ منهُ ... بَهاهُ وفاتَنا منـك الفتونُ
وقاكَ اللهُ كم تُفنى قروناً ... ولا تُفْنِي محيَّاكَ القرونُ(٩)

---

(١) بان يبين . بياناً : ظهر . وبان يبين بيناً : فارق . والمعنى الثانى هو المقصود هنا .
(٢) شؤون جمع شأن : العرق الذى تجرى منه الدموع يقال فاضت شؤونه .
(٣) الخدين : الحبيب والصاحب .
(٤) شكرى : ممتلئة . يقال : شكرت الناقة فهى شكرى وشكرة : امتلأ ضرعها .
(٥) طرف : أطبق أحد جفنيه على الآخر . (٦) نوافر جمع نافرة : أى شردت وأبعدت .
(٧) تدين : تخضع وتذل . (٨) المعلوم أن القمر يستمد النور والحرارة من الشمس فيصفه الشاعر بالخيانة لأنه يعطى النور ويحتفظ بالحرارة .
(٩) المحيا : الوجه .

وكم تُحْيي الظلامَ وأنْتَ مَيْتٌ ... وكم تعلو النُّجومَ وأنتَ دُونُ[١]

حَوَيْتَ عجائباً فدعاكَ قومٌ ... إلهاً حُبُّهُ فى النّاسِ دِينُ[٢]

تُخَبِّرُهُمْ بأعدادِ الليالى ... ويلزمك السّكوتُ فما تُبينُ[٣]

وتصدقهمْ وفيكَ النَّقْصُ طَبْعٌ ... وعهدى كل ذى نقصٍ يَمينُ[٤]

لنا فى كلِ شهرٍ منكَ شَكٌّ ... ولكن ليسَ يمهلهُ اليقينُ

لو أنّ نظيرَ شكلكَ كلُّ شَكٍّ ... لما طالتْ بصاحبها الظنونُ[٥]

كأنك فى هلالك نصلُ سيفٍ ... أجادتْ صَقْلَ صَفحَتِهِ القُيُونُ[٦]

تقطَّعُ منك أعناقُ الليالى ... وليسَ سوى الأنامِ لها وتينُ[٧]

تُرى فيك البداءة كيف كانتْ ... قديماً والفناء متى يكونُ

---

(١) يقول : إن القمر دون النجوم علوا ومع ذلك يعلوها مكانة وبهاء فى هذا الكلام معارف علمية صحيحة موشحة بخيال شاعر .

(٢) يشير إلى أن من الناس من عبد القمر كالإسميليين سلالة إسماعيل بن إبرهيم وهاجر ولعل أهلة الفضة التى كانوا يضمونها فى أعناق الجمال رمز إلى تلك العبادة .

(٣) أبان يبين : أفصح . (٤) مان يمين مينا : كذب .

(٥) فى مطلع كل شهر قمرى يبعث الهلال بالشك إلى قلوب الناس إذا تعذرت رؤيته ولكنه شك لا يلبث أن يتبدد سريعاً فى ضوء اليقين عندما يرى الناس الهلال بادياً فى سمائه فما هو مثل الشكوك التى تساور قلب الإنسان ولا تريد عنه متحولا . والهلال فى يومه الأول هو هلال الشك فعين تثبته وأخرى تنفيه ولقد شبه ابن الفارض الرجل الصب النحيل بالشبح الذى لا ظل له وبهلال الشك فلولا أنينه ما رأته العين قال :

قل تركت الصب فيكم شبحاً ... ما له مما براه الشوق فى

كهلال الشك لولا أنه ... أن عيى عينه لم تتأى

(٦) القيون جمع قين : الحداد أو الصانع . واشتهر القيون بصنع السيوف وصقلها . ولما صار سيف عمرو بن معدى كرب وكان يسمى الصمصامة إلى الهادى وصفه ابن يامين البصرى فقال من أبيات :

أخضر اللون بين خديه برد ... من ذعاف تميس فيه المنون

أوقدت فوقه الصواعق ناراً ... ثم شابت به الذعاف القيون

(٧) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلها . جمعه : وتن وأوتنة .

وهل يبقى الوجودُ بلا فناءٍ وهل تعفو عن الشهبِ المنونُ[١]
كوائنُ ليس يدرى السِرَّ منها سوى مَنْ أمرُهُ كافٌ ونونُ[٢]

الحسان فى البحر

ليس غريباً على ابن الإسكندرية عروس البحر أن تهتز فيه شاعريته عندما يرى الحسان يغتسلن فى البحر ويرتمين فى أحضان أمواجه :

لله دَرُّ البَحْرِ من مُصَوِّرِ يُصَوِّرُ الجسمَ جَلِىَّ المَنْظَرِ[٣]
ويُظْهِرُ الأعضاءَ تحت المِئْزَرِ كأنَّها بارزَةٌ لم تُسْتَرِ[٤]
من أسودٍ وأبيضٍ وأحمرِ كالرَّوضِ قد حَلاَّهُ نورُ القَمَرِ
ببُرْدِهِ الشَّفَّافِ فوق الزَّهَرِ يُظْهِرُهُ رَسْمًا وإنْ لم يظْهَرِ[٥]
مثل نساءٍ باهياتِ الحُورِ أقبَلْنَ يَغْتَسِلْنَ لا من وَضَرِ[٦]
تبرُّداً بماءِ تلكَ الأَبْحُرِ يَغُصْنَ بين مائها والحجَرِ
مؤزَّراتٍ بثيابِ الشَّعَرِ على ثيابٍ من نسيجِ الإبَرِ[٧]
رقيقةٍ شفافةٍ للبَصَرِ فتظهرُ الجسمَ بأبهى منظر

---

(١) المنون : الموت . الدهر .

(٢) ديوان « تذكار الصبا » ص ٣٤ – ٣٦ ومجلة «البيان» . السنة الأولى – الجزء العاشر . ولقد اختلف المصدران فى قافية عجز البيت الأول فاعتمدنا نص مجلة البيان لأن القصيدة نشرت فيها وناظمها حى يرزق .

(٣) لله دره : صيغة للتعجب أى لله ما خرج منه من خير . ويقال در دره : كثر خيره .

(٤) المئزر : الإزار : كل ما ستر الإنسان .

(٥) البرد : الثوب

(٦) الحوار : البياض . يقال حورت العين : اشتد بياض بياضها وسواد سوادها فهى حوراء . الوضر : الوسخ

(٧) مؤزرات : متسترات متغطيات .

كأنّها ترسمُهُ للنّظرِ بكفِّ (روفائيلٍ) المُصَوِّرِ
لو تسألُ الواردَ بعد الصَّدَرِ عن ذلكَ الماءِ الأُجاجِ الكَدِرِ (١)
لقالَ قدوردتُ عَذْبَ الكَوْثَرِ (٢) رغماً عن الحورِ فياربِّ اغْفِرِ (٣)(٤)

٤ – الشعر التمثيلى

ثارات العرب

حوار بين ليلى المريضة وقد برح بجسمها الداء وبفؤادها الغم وبين حبيبها حسان .

ليلى حزنٌ وهَمٌّ يليه الموتُ عن عَجَلٍ هذى حياةُ النِّسا فى العالَمِ الفانى
حسان أما تَرَيْنَ بهاء الشَّمْسِ غاربةً
ليلى نَعَمْ وقد مَرَّ عنها شهر نيسانِ (٥)
وصارتِ الأرضُ فى فَصْلِ الخريفِ وقد رَمَتْ بأوراقِها من فوقِ أغصانِ
وأصْبَحَ البَرُّ قفراً لا أنيسَ بهِ كأنَّهُ مُقْلَةٌ من غيرِ إنسانِ (٦)

---

(١) ورد الماء : صار إليه وبلغه . الصدر : الرجوع عن الماء . الأجاج : الماء الملح المر .

(٢) الكوثر : اسم نهر فى الجنة .

(٣) تملى علينا مراعاة النظير ومذهب الشىء بالشىء يذكر أن نشفع هذه القصيدة بل هذا اللوح من الصور الجميلة الفاتنة بأبيات قالها شوقى يصف فيها السابحات الفاتنات وقد ضمهن البحر وإنها لأبيات هى فى الذروة العليا من الشعر المصور المبدع قال :

جئنه فى معاصم ونحور فكسا معصماً وآخر عرى
وترى الغيد لؤلؤاً ثم رطباً وجماناً حوالى الماء نثرا
وكأن السماء والماء شقا صدف حملا رفيفاً ودرا

(٤) ديوان « تذكار الصبا » ص ٩٢

(٥) نيسان : أبريل

(٦) إنسان العين : سوادها أو ما يرى فى سوادها .

حسان لكنْ سترجعُ أوراقُ الغُصُونِ كما ... كانتْ وتكسو الرَّوابى حُسْنَ ألوانِ

ليلى نعم وهذى جماعاتُ الطيورِ غدَتْ ... تسيرُ عَنَّا إلى أهلٍ وأوطانِ

حيثُ الحرارَةُ تُحْيِيها وتُنْعِشُها ... فتأنسُ الأرضُ تغريداً بألحانِ

حسان نعم ولكنَّها لا بُدَّ راجعةٌ ... إلى هنا شَأْنُها قَبْلًا إلى الآنِ

ليلى نعم ولكنْ أناهيهاتَ أُبْصِرُها ... أو أُبْصِرُ الزَّهْرَ يزهو بين أفنانِ[1]

فإنَّ عمرى قصيرٌ لا انتظارَ بهِ ... لِعَوْدِها وعذابُ البَيْنِ أفنانى[2]

حسان حبيبةَ القلبِ ماهذا الكلامُ فقَدْ ... أجرى الدُّموعَ وأذكانى بنيرانِ[3]

ليلى ما أجملَ الشَّمْسَ ما أبهى أَشِعَّتَها ... كأنَّها وجهُ صبٍّ بائسٍ عانى[4]

تُلْقِى أَشِعَّتَها حُمْراً فنحسبُها ... قد كلَّلَتْ هامَةَ الدُّنيا بتيجانِ

ويلمعُ النَّهْرُ فى أنوارِها فيُرَى ... كأنَّهُ أدْمُعٌ فى خدّ ولهانِ[5]

ما أحْسَنَ الأرضَ فى عينى وأجملَها ... كلُّ الحياةِ بها والكلُّ ينسانى

يتيمة لا أبٌ يحنو على سَقَمِى ... يوماً ولا أُمَّ تُسْلِينى وترعانى

وحيدةٌ لستُ ألقى فى الورَى سَنَدًا ... لذاك أصبحَ صرْفُ الموتِ يلقانى[6]

حسان لاتكفُرِى لاتقولى أنتِ واحدةٌ ... وها أنا فى الورَى مِنْ بعدِكِ الثانى

ليلى إنى أحبُّكِ يا روحى ويا أملى ... هيهاتَ لم تكُ يا حسَّانُ تهوانى

هذا رسولُ مماتى قد دَنا وأنا ... أمضى فنَسْلو غرامِى بعد أزمانِ

---

(١) الأفنان : الأغصان .

(٢) البين : الهجران والفراق

(٣) أذكانى : أحرقنى

(٤) الصب : العاشق وذو الولع الشديد . العانى : الأسير .

(٥) الولهان : المتحير من شدة الوجد .

(٦) صرف الموت : كارثة الموت .

حسان إن متِّ متُّ بلاشكٍّ وأُقسمُ بالـــحُبِّ الصحيحِ وهذا جُلُّ أيمانى[١]

أتزعُمين بأنى لا أُحِبُّكِ قد ... فطَرْتِ قلبى وقد هيَّجْتِ أحزانى

دخلتُ ذا الحصنَ من عامٍ فكنتُ به ... من أهلِهِ مؤمناً ما بين أوثانِ[٢]

أرى الجميعَ لصوصاً لا ذمامَ لهمْ ... الدِّينُ فى عُرْفِهِمْ والكفرُ سيّانِ

كانوا ظلاماً على عينى يخالفهمْ ... طبْعى وينفرُ منهمْ طيبُ وجدانى

حتى بدتْ شمسُ حسنٍ منكِ مشرقة ... شعاعُها من جمالٍ فيكِ فتّانِ

وأصبحَ القلبُ رهناً فى يديكِ ولا ... تؤاخذينى فإنَّ الحُبَّ ألجانى[٣]

وليس غيرُكِ يُسْلِيهِ فأنتِ لهُ ... كبارِدِ الماءِ يُرْوى غُلَّ ظمآنِ[٤]

---

(١) الأيمان : جمع يمين : القسم

(٢) هو مؤمن بن أوثان أو هو كالمسيح بين اليهود أو كصالح فى ثمود على حد قول المتنبى :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

أنا فى أمة تداركها اللـــه غريب كصالح فى ثمود

(٣) ألجانى : مخفف الجانى

(٤) المشهد الثالث من الفصل الأول فى رواية « ثارات العرب » .

١ — المراجع العربية

نجيب الحداد : ديوان تذكار الصبا . الطبعة الثانية . مطبعة جرجي غرزوزى . الإسكندرية ١٩٠٥

» » : منتخبات نجيب الحداد . الطبعة الثانية . مطبعة جرجي غرزوزى . الإسكندرية ١٩٠٦

» » : رواياته التمثيلية وقصصه .

أمين الحداد : منتخبات أمين الحداد . مطبعة جرجي غرزوزى. الإسكندرية ١٩١٣

إبرهيم اليازجى : لغة الجرائد . دار المعارف بمصر . القاهرة١٣١٩هـ

» » : مجلة البيان . السنة الأولى . ١٨٩٧ — ١٨٩٨

» » : مجلة الضياء . السنة الأولى . ١٨٩٨ — ١٨٩٩ .

عيسى إسكندر المعلوف : الغرر التاريخية فى الأسرة اليازجية ج ١ و ج ٢ المطبعة المخلصية . صيدا ١٩٤٥

مارون عبود : رواد النهضة الحديثة . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٥٢

فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية . ج ١ المطبعة الأدبية . بيروت١٩١٣ وج ٤ المطبعة الأمريكانية. بيروت١٩٣٣

جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق. ج ٢ مطبعة الهلال. القاهرة١٩٠٣.

: وتاريخ آداب اللغة العربية . ج ٤ الطبعة الثانية. مطبعة الهلال القاهرة ١٩٣٧

لويس شيخو : الآداب العربية فى القرن التاسع عشر . وتاريخ الآداب العربية فى الربع الأول من القرن العشرين. المطبعة الكاثوليكية . بيروت١٩٢٦

أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربى . الطبعة الحادية عشرة . مطبعة الرسالة . القاهرة ١٩٥٢

عباس محمود العقاد : ابن الرومى حياته من شعره . الطبعة الثانية . مطبعة حجازى . القاهرة ١٩٣٨

خليل مردم : ديوان على بن الجهم . منشورات المجمع العلمى العربى بدمشق . دمشق ١٩٤٩

قسطاكى الحمصى : أدباء حلب ذوو الأثر فى القرن التاسع عشر . المطبعة المارونية . حلب ١٩٢٥

بولس قرألى : السوريون فى مصر . المطبعة السورية . القاهرة ١٩٢٨

أسعد طلس : مصر والشام فى الغابر والحاضر . دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٤٥

شبلى الملاط : ديوان الملاط . المطبعة الأدبية . بيروت ١٩٢٥

إبرهيم عبده : كتاب جريدة الأهرام . دار المعارف بمصر . القاهرة ١٩٥١

جاك تاجر : حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر . دار المعارف بمصر . ١٩٤٦

عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر . ج ١ و ج ٣ دار الفكر العربى . القاهرة ١٩٤٩

٢ — المراجع الأجنبية

GABRIEL HANOTAUX: Histoire de la Nation Egyptienne Tome VII. Plon. Paris. 1940.

DIVERS HISTORIENS & ARCHEOLOGUES : Précis de l'Histoire d'Egypte. Tome IV. Instituta Poligrafico dello Stato. Roma 1935.

A. DEBAY : Hygiène & Psychologie du Mariage. Dentu. Paris 1902.

R. J.S. MC DOWALL : Sane Psychology. John Murray. London 1944.